

ماتر بتحدى
التأليف السريع

فن الخطابة وإعداد الخطيب

عماد بن خليفة بن سليمان الدايني البعقوبي



فن الخطابة وإعداد الخطيب

تأليف

أ.م.د. عماد بن خليفة بن سليمان الدايني

البعقوبي

العراق - ديالى - بعقوبة

1445هـ - 2024م

فن الخطابة وإعداد الخطيب

جميع حقوق الطبع محفوظة ©

1445 هـ - 2024 م

الطبعة الأولى

اسم الكتاب: فن الخطابة وإعداد الخطيب

أ.م.د. عماد بن خليفة بن سليمان الدايني البعقوبي

مقاس الكتاب: 7" * 10"

عدد الصفحات: 165

التنسيق الفني: عدنان قلعه جي

رقم التسجيل الدولي ISBN :



arid.my | info@arid.my

رعاة الكتاب



المحفل العلمي الدولي
www.almahfal.org



منصة أريد العلمية
www.arid.my



جامعة أريد الدولي
www.university.arid.my



جمعية البصيرة
www.basera-iq.org



منصة قادرة
www.qadirah.com



قرية أريد العلمية
www.sci-village.com



أبصر فايزر للمهنيات الافتراضية
www.abservisior.com



منصة الفاتحة
www.fatiha.id



منصة أبناء العلماء
www.sos.arid.my



وقف الذكاء الاصطناعي
www.waqf.ai



أبصر للتعليم الإلكتروني
www.abser.org



بوابت فلسبي للدفع الإلكتروني
www.filspay.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ

الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ}

سورة ص: 20.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنِّي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». صحيح البخاري، برقم: 3461.

الفهرس

5.....	الفهرس
9.....	تقديم منصة أريد العلمية.....
11.....	المُقَدِّمَةُ.....
18.....	التمهيد.....
18.....	معنى الخُطبة وأهميتها.....
20.....	أهميَّة الخُطابة.....
22.....	ظاهرة العزوف عن الخُطابة وضررها.....
24.....	خُطابة العرب.....
26.....	الفصل الأول.....
26.....	الخطيب.....
35.....	المطلب الثاني: صفات الخطيب الجيد:.....
41.....	المبحث الثاني.....
41.....	آداب الخطيب وعيوبه.....
48.....	المطلب الثاني: عيوب الخطيب:.....
52.....	المبحث الثالث.....
52.....	مقومات الخطابة ومحاذيرها.....
52.....	المطلب الأول: مقوِّمات الخُطابة:.....
59.....	المطلب الثاني: محاذير الخُطابة:.....
68.....	الفصل الثاني.....
68.....	الخطبة وآدابها.....

68	المبحث الأول
68	الخطبة
68	المطلب الأول: أجزاء الخطبة
72	المطلب الثاني: طرق تحضير الخطبة:
75	المطلب الثالث: الإلقاء الخطابي:
81	المبحث الثاني
81	آداب الخطبة وعيوبها
81	المطلب الأول: آداب الخطبة
83	المطلب الثاني: عيوب الخطبة:
88	الفصل الثالث
88	أنواع الخطب
88	المبحث الأول
88	الخطب الدينية
88	المطلب الأول: خطبتي الجمعة:
93	المطلب الثاني: خطبتي العيد:
95	المطلب الثالث: حُطْبُ الْحَجِّ:
97	المطلب الرابع: حُطْبَتِي الْأَسْتِسْقَاءِ:
99	المطلب الخامس: حُطْبَةُ الْكُسُوفِ:
101	المبحث الثاني
101	الخطب الاجتماعية
101	المطلب الأول: خطبة الصلح:

فن الخطابة وإعداد الخطيب

102.....	المطلب الثاني: خطب الحمالة أو الضمان:
103.....	المطلب الثالث: خطبة يوم الحفل:
105.....	المطلب الرابع: خطبة التأبين:
107.....	المطلب الخامس: خطبة الموسم:
109.....	المطلب السادس: خطبة النكاح:
112.....	المبحث الثالث.....
112.....	الخطب العلميّة.....
112.....	المطلب الأول: الخطب العلمية العامّة:
115.....	المطلب الثاني: الخطب العلمية الخاصّة:
117.....	المبحث الرابع.....
117.....	الخطب الرسميّة.....
117.....	المطلب الأول: خطب الخصومات والقضاء:
119.....	المطلب الثاني: خطب المواهب:
120.....	المطلب الثالث: خطب بين السماطين:
122.....	المبحث الخامس.....
122.....	الخطب الحرّيّة.....
122.....	المطلب الأول: خطبة الحرب والجهاد:
124.....	المطلب الثاني: خطبة الفتح:
126.....	الفصل الرابع.....
126.....	المستمعون.....
126.....	المبحث الأول.....

فن الخطابة وإعداد الخطيب

126.....	حال الخطيب مع المستمعين
126.....	المطلب الأول: الاعتدال في الخطاب:
130.....	المطلب الثاني: رحمة المستمعين واحتواؤهم:
134.....	المبحث الثاني
134.....	التجديد في الخطابة
134.....	المطلب الأول: محاور مهمّة في الخطب:
138.....	المطلب الثاني: فقه الخطيب وحكمته في الدعوة:
144.....	المطلب الثالث: ضرورة التجديد في الخطابة:
148.....	الخاتمة
151.....	المصادر والمراجع

تقديم منصة أريد العلمية

الحمد لله الذي أنزل كتابه، ولم يجعل له عوجاً، وجعل السماء سقفاً وبروجاً، والصلاة والسلام على رسوله الذي أرسله للعالم بشيراً ونذيراً وسراجاً، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أمّا بعد:

في هذا اليوم المبارك، نقدم بين يدي القارئ الكريم كتاب "فن الخطابة وإعداد الخطيب"، ثمرة جهد متميز وإبداع فريد، تكلل بالفوز في "تحدي التأليف السريع خلال 24 ساعة" الذي نظّمته منصة أريد العلمية. لقد كان هذا التحدي، الذي أقيم خلال الفترة من 1 إلى 3 تموز 2023م، فرصة للمبدعين والعلماء والمفكرين لعرض إبداعاتهم ومشاركتها مع العالم، وقد أعلنت النتائج ضمن فعاليات الحفل الختامي للمحفل العلمي الدولي الثالث عشر في يوم 3 نوفمبر 2023م.

يأتي هذا الكتاب كدليل شامل ومرجع أساسي لكل مهتم بفن الخطابة وتطوير مهارات الإلقاء، موجهاً ليس فقط للخطباء والمتحدثين، ولكن أيضاً لكل من يطمح إلى تعزيز قدراته البيانية والتأثيرية في مختلف المجالات. من خلال فهرسه المنظم والشامل، يوفر الكتاب إطلالة على جميع جوانب الخطابة، بدءاً من معنى الخطبة وأهميتها، مروراً بصفات الخطيب الجيد وأداب الخطابة، وصولاً إلى تقديم مقومات الخطابة الفعالة وتجنب محاذيرها.

كما يتناول الكتاب بالتفصيل أنواع الخطب المختلفة، سواء كانت دينية، اجتماعية، علمية، رسمية، أو حربية، مقدماً نماذج وأمثلة تطبيقية تُعين الخطيب على إتقان فنون هذا العلم. لا يغفل الكتاب عن أهمية الاستماع والتفاعل مع الجمهور، مستعرضاً كيفية بناء علاقة متوازنة ومؤثرة بين الخطيب والمستمعين، ومشدداً على ضرورة التجديد والابتكار في الخطابة لمواكبة التطورات المستمرة في وسائل الاتصال والتعبير.

نأمل أن يجد القارئ في هذا الكتاب زادًا ثمينًا يُثري معرفته ويُعزز مهاراته في فن الخطابة، مسلحًا بأدوات علمية وعملية تمكنه من التأثير الإيجابي في محيطه والمساهمة في نشر الخير والعلم. وإنه لمن دواعي سرور منصة أريد العلمية أن تكون جزءًا من رحلة هذا الإبداع، مؤكدين على التزامنا بدعم العلم والمعرفة وتشجيع الأصوات البناءة التي تُسهم في تنوير المجتمعات وتقدمها.

نسأل الله تعالى أن ينفع بما فيه، وأن يجعله خطوة في طريق العلم والمعرفة، موفقين دومًا لما فيه خير البشرية جمعاء.

د. سيف السويدي

رئيس منصة أريد العلمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المُقَدِّمَةُ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مِنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}.⁽¹⁾

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}.⁽²⁾

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}.⁽³⁾

إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابَ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.
أَمَّا بَعْدُ:⁽⁴⁾

فإنَّ ضعف الخطابة عند كثير من الخطباء، والنقص الحادِّ في الخطباء، أصبحا ظاهرتين معلومتين للجميع، حتى صارت دوائر الأوقاف في كثير من البلاد تعجز عن تغطية مساجدها كلها بالأئمة والخطباء، وممَّا زاد الوضع سوءاً هَجْرُ تَدْرِيسِ مَادَّةِ

(1) سورة آل عمران: 102.

(2) سورة النساء: 1.

(3) سورة الأحزاب: 70-71.

(4) من قول: "إن الحمد لله" إلى "أما بعد" تسمى خطبة الحاجة، وهي "التي كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلمها أصحابه، فينبغي للخطباء والمعلمين أن يفتتحوا بها خطبهم، ودروسهم، ويحفظوها لطلابهم؛ ليحيوا سنة من سنن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كادت أن تنسى. وقد حققها الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في رسالة عنوانها: "خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه"، طبعها المكتب الإسلامي طبعات عدّة، فلتنظر فيها فوائد مهمة.

الخطابة في المدارس الإسلامية والمعاهد العملية وكليات الشرعية، ولا أدري هل هذا الهجر عن قصد وعمد، أو عن غفلة، وغير قصد، وأياً كان الأمر فأتاره بدت واضحة منتشرة في ضعف الخطب، وقلة الخطباء في العالم الإسلامي، ولا يبعد تعمّد ذلك في أماكن كثيرة، وليس هو وليد اليوم، بل منذ أكثر من قرن من الزمن شُخص هذا التعمّد، فذكر عبدالرحمن الكواكبي أنّ المستبدّ لا يخشى علوم اللغة التي بعضها يقوّم اللسان، وكثير منها لغو وهذيان تضيع به الأزمان، وكذلك لا يخاف من العلوم الدينية المتعلقة بالمعاد، وعلاقة العبد برّبّه، وترتعد فرائض المستبدّ من علوم الحياة مثل الحكمة النظرية، والفلسفة العقلية، وحقوق الأمم، وطبائع الاجتماع، والسياسة المدنية والتاريخ المفصّل، والخطابة الأدبية، وأخوف ما يخاف المستبدّ من أصحاب هذه العلوم المندفعين منهم لتعليم الناس الخطابة، أو الكتابة⁽¹⁾.

إذن إهمال مادّة الخطابة إن كان في جانب منه غفلة، وعدم اهتمام، ففي جانب آخر هو شيء متعمّد، لما للخطابة من تأثير كبير في النفوس، وفي التوجيه الجمعي للناس، فيتعيّن على من يحمل همّ الإصلاح والنهوض بواقع الأمة، وإحياء السنّة، ونشر العلم الشرعيّ الصحيح، ومحاربة الأهواء والبدع والمنكرات، ومظاهر الجاهلية ورواسيها أن يسلك السبل الكفيلة بذلك، والخطابة هي من أهمّ هذه السبل، ولا يخفى ما للمسجد من مكانة عظيمة في الإسلام، فهو قلب المجتمع الإسلاميّ، ومُلْتَقَى المؤمنين بالغدوّ والأصال لأداء حقوق الله، واستلهام الرشد، وهو مصدر قوّة إيمانية، وزاد روحيّ، وطاقة عاطفية، ومنهل فكريّ بعيد المدى، خصوصاً أيام الجمع والأعياد عندما تُنصت جماهير المصلّين في سَكِينَة وخشوع " للخطيب " وهو يشرح لهم تعاليم الإسلام ويبيّن لهم حدود الله، ويُفَقِّهُهُمْ على ما في الكتاب والسنة من عِظَات وآداب، وإنّ خطب الجُمع والأعياد من شعائر الإسلام الكبرى، ومَعَانِيهَا تُنَسَّب إلى النفوس من لحظات انعطافٍ إلى الله وتَقَبُّلٍ لوصاياه، ومن ثَمَّ كان موضوعها جليلاً الأثر كبيرَ الخطر.

(1) ينظر: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد: 24.

والإمام الذي يدرُس موضوعه ويُجِئُ عَرَضَه، يقوم بنصيب وافر في تثقيف الأمة، وترشيد نهضتها، ودعم كيانها المادي والأدبي، ووَصِلَ غَدِهَا المأمول بماضيها المجيد.

ولمَّا كُنَّا نريد الوصول بمستوى الخطابة في المجتمع وخاصة المسجد إلى مكانته اللائقة به، ونريد جعل المنبر مرآةً لما حَوَى الإسلام من معرفة صالحة وتربية واعية، ورأيت الحاجة لهذا الموضوع، وافتقار المجتمع إلى الخطباء المؤثرين البارعين في شتى المجالات الدينية والاجتماعية والرسمية والإعلامية وغيرها، وحاجة إخواني وأحبابي من المشتغلين بالوعظ والدعوة، وصدارة المجالس واللقاءات الاجتماعية والرسمية، أو الذين يرغبون في ذلك وأبدوا همّة ونشاطاً وتحمُّساً لتعلُّم الخطابة، جمعت مادّة هذه الرسالة وما فيها من توجيهات موجزةً لما ينبغي أن يتحلَّى به الخطيب من زاد روحي وثقافي، وتدارستها معهم، ثم جمعتها، وأضفت لها ما يتمم مادتها وهديتها، ونقحتها ونشرتها في هذه الرسالة وسميتها: "فن الخطابة وإعداد الخطيب" ليعمّ النفع بها، وقد استقيت مادتها من مصادر كثيرة، ولكنّ المصادر الأساسية هي أربعة مصادر: "البيان والتبيين" لأبي عثمان الجاحظ رحمه الله، ونفح الطيب في الخطابة والخطيب المعروف عبدالغني الرصافي رحمه الله، وهو اختصار للبيان والتبيين، اختصره للطلاب عندما كان يُدرِّس مادّة الخطابة في مدرسة الواعظين في دار الخلافة اسطنبول، والمصدر الثالث هو "مائة سؤال عن الإسلام" لفضيلة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، والمصدر الرابع هو "الشامل في فقه الخطيب والخطبة" لمعالي إمام وخطيب المسجد الحرام فضيلة الشيخ سعود الشريم حفظه الله، وهو كتاب قيم فريد في بابهِ، فجزى الله مؤلفه خيراً ونفع بعلمه.

وقد عمدت فيما إلى ذكر التوجيهات المهمة، والنصائح الضرورية للخطيب، وحلول بعض المشكلات التي تكون عقبة في طريق الخطيب، واتّبع في ذلك أسلوب الإيضاح والإفهام من غير تطويل مملّ، ولا اختصار مخلّ، متجنباً الحشو والتكرار ما استطعت، وقد قسّمت مادّة الرسالة على تمهيد وأربعة فصول ثمّ خاتمة، وهي:

❖ التمهيد: تناولت فيه: معنى الخطبة لغة واصطلاحاً، وأهميّة الخطابة،

والعزوف عن الخطابة، ووصف خطابة العرب.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

❖ الفصل الأول: الخطيب، وتناولت فيه: ما يجب على الخطيب، وما يحتاجه من صفات، وما ينبغي أن يتحلّى به من الآداب، وما يحذره من أخطاء وعيوب وفيه ثلاثة مباحث:

● المبحث الأول: واجبات الخطيب النفسية وصفاته، وفي مطالبان:

- المطلب الأول: واجبات الخطيب في نفسه.

- المطلب الثاني: صفات الخطيب الجيد.

● المبحث الثاني: آداب الخطيب وعيوبه، وفي مطالبان:

- المطلب الأول: آداب الخطيب في الخطبة

- المطلب الثاني: عيوب الخطيب.

● المبحث الثالث: مقومات الخطابة ومحاذيرها، وفيه مطالبان:

- المطلب الأول: مقومات الخطابة.

- المطلب الثاني: محاذير الخطابة.

❖ الفصل الثاني: الخطبة وآدابها، وفي مبحثان:

● المبحث الأول: الخطبة، وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: أجزاء الخطبة.

- المطلب الثاني: طرق تحضير الخطبة.

- المطلب الثالث: الإلقاء الخطابي.

● المبحث الثاني: آداب الخطبة وعيوبها، وفيه مطالبان:

- المطلب الأول: آداب الخطبة.

- المطلب الثاني: عيوب الخطبة.

❖ الفصل الثالث: أنواع الخطب، وتناولت فيه أشهر أنواعها الدينيّة

والاجتماعيّة والعلميّة والسياسيّة، وفيه خمسة مباحث:

● المبحث الأول: الخطب الدينيّة، وفيه خمسة مطالب:

- المطلب الأول: خطبتي الجمعة المطلب.
- المطلب الثاني: خطبتي العيد.
- المطلب الثالث: خُطْبُ الْحَجِّ.
- المطلب الرابع: خُطْبَتِي الْأَسْتِسْقَاءِ.
- المطلب الخامس: خُطْبَةُ الْكُسُوفِ.
- المبحث الثاني: الخطب الاجتماعية، وفيه ستة مطالب:
 - المطلب الأول: خطبة الصلح.
 - المطلب الثاني: خطبة الحمالة أو الضمان.
 - المطلب الثالث: خطبة يوم الحفل.
 - المطلب الرابع: خطبة التأبين.
 - المطلب الخامس: خطبة الموسم.
 - المطلب السادس: خطبة النكاح.
- المبحث الثالث: الخطب العلميّة، وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول: الخطب العلمية العامّة.
 - المطلب الثاني: الخطب العلمية الخاصّة.
- المبحث الرابع: الخطب الرسميّة، وفيه ثلاثة مطالب:
 - المطلب الأول: خطب الخصومات والقضاء.
 - المطلب الثاني: خطب المواهب.
 - المطلب الثالث: خطب بين السماطين
- المبحث الخامس: خطب الحرب والجهاد وما يتعلق بها، وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول: خطبة الحرب والجهاد.

- المطلب الثاني: خطبة الفتح.

❖ الفصل الرابع: المستمعون، وتناولت فيه: مراعاة الخطيب لحال المستمعين،

ومحاور مهمّة في الخُطْب، وفيه مبحثان:

● المبحث الأول: حال الخطيب مع المستمعين، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الاعتدال في الخطاب.

- المطلب الثاني: رحمة المستمعين واحتواؤهم.

● المبحث الثاني: التجديد في الخطابة، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: محاور مهمّة في الخُطْب.

- المطلب الثاني: فقه الخطيب وحكمته في الدعوة.

- المطلب الثالث: ضرورة التجديد في الخطابة.

❖ الخاتمة: وذكرت فيها أهمّ النتائج، والتوصيات، وضمنتها بعض التوجيهات

والنصائح.

❖ ثم أتبعها بقائمة المصادر والمراجع التي استقيت منه مادّة الرسالة.

ولست أدعي فيما كتبت الكمال فهذا في حقنا من المحال، ولا أدعي أتيت بما لم يأت به غيري، بل قد سبقنا سبقا كبيرا، ومن السابقين نقفتي، وعلى خطى القوم نسير، وبعلمهم نستنير، ونكمل ما بدأوا، فكتبت هذه الرسالة اللطيفة مشاركة مّي للقيام بواجب النصح لله ولكتابه، ولرسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولأئمة المسلمين وعامتهم، وذلك للارتقاء والتجديد في الخطابة، وتأهيل الخطباء الجدد، وتذليل الصعوبات أمامهم، والنهوض بواقع الخطب والخطباء، وأداء للأمانة وإشاعة للمعلومة، ومشاركة مّي في التعاون على البر والتقوى، وتنقية للخُطْب من الأخطاء والمخالفات، وإحياء لسنة النبي ﷺ في خُطْبِه الشريفة، ومنهج السلف في الخطابة، وسدّ النقص الحاصل في عدد الخطباء في المجتمع مع الحاجة الماسّة لهم، ولا سيّما في المساجد، خاصّة ونحن نشهد نهضة نوعية في بناء المساجد وانتشارها في عموم البلاد فلله الحمد والمِنَّة..

فن الخطابة وإعداد الخطيب

وأسال الله تبارك وتعالى السداد والقبول بالإخلاص والمتابعة إنَّه نعم المسؤول
وإنَّه الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

أبو عبد الله

أ.م.د. عماد بن خليفة بن الدايني

البعقوبي

التمهيد

معنى الخُطبة وأهميتها

أولاً: معنى الخُطبة والخُطابة لغة:

أمَّا الخُطبة: فهي جملة من القول يقصد فيها إلى الترغيب فيما ينفع الناس من أمور معاشهم ومعادهم، والتنفير مما يضرهم، وتشتمل كذلك على المدح والفخر وتعداد المحاسن، أو ذكر المساوئ، ونحوها.

والفرق: الخُطبة - بضم الخاء - والخُطبة - بكسره -: إذا كانت بالكسر؛ فهي في طلب النِّساء خاصَّة، وبالضم هي في الطلب عامَّة عدا طلب النساء⁽¹⁾.

وأما الخُطابة بالفتح على وزن سَحابة: فهي مصدر الفعل خَطَبَ يَخْطُبُ خُطابةً، أي: صار خُطيباً.⁽²⁾

وَالْفِعْلُ فِي الْاِثْنَيْنِ مِنَ الْبَابِ الْأَوَّلِ: بَابِ فَتْحِ ضَمِّ، نَحْوُ: (طَلَبَ يَطْلُبُ)، وَ(نَصَرَ يَنْصُرُ)، فَيَكُونُ خَطَبٌ يَخْطُبُ⁽³⁾.

ثانياً: معنى الخُطبة اصطلاحاً:

الخُطبة بِالضَّمِّ: هِيَ كَلَامٌ مَنْثُورٌ مُؤَلَّفٌ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ الْيَقِينِيَّةِ وَالْمَقْبُولَةِ وَالْمُظَنُّونَةِ، أَوْ إِحْدَاهَا تَرْغِيبًا أَوْ تَرْهِيبًا أَوْ كِلَاهُمَا، مُصَدَّرًا بِالْحَمْدِ وَالصَّلَاةِ مَعَ كَوْنِ مَخَاطَبِهِ غَيْرِ مُعَيَّنٍ يُقَالُ: سَمِعْنَا خُطْبَةَ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ. وَتَطْلُقُ عَلَى خُطَابِ الْوَعْظِ أَيْضًا.⁽⁴⁾

الفرق بين المقالة والكلمة والخطبة والوصية:

هذه أشياء أربعة كلها ذات مضمون واحد، لكنَّها تختلف فيما بينها في فروق

دقيقة:

فأمَّا المقالة: فهي خطبة، لكنَّها مكتوبة.

(1) ينظر: الكليات: 433

(2) ينظر: لسان العرب، مادَّة (خطب): 1 / 361

(3) ينظر: الكليات: 433

(4) ينظر: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: 2 / 60.

وأما الكلمة: فهي قراءة الخطبة قراءة سرديّة.

وأما الخطبة: فهي موعظة، أو مقالة موجهة الى الجميع وليس إلى شخص أو أشخاص معينين. ويكون فيها ارتجال وشدة وتأثير بالحركة والإشارة ونبرة الكلام والمدود وغيرها. وبهذه المؤثرات تتميز الخطبة عن المقالة، فإذا رفعت منها هذه المؤثرات فقدت الخطبة ميزتها وخصوصيّتها، وصارت مجرد مقالة مكتوبة، وإذا قرأت صارت مجرد كلمة تلقى.

وكذلك الوصية: فهي موعظة، إلا أنّها خاصّة بأمر مخصوص؛ لأناس مخصوصين، فالفرق بينها وبين الخطبة: هو أنّ الخطبة عامة، فتكون في المشاهد والمحافل والمجامع والأيام والمواسم، والتفاخر والتشاجر، ولدى الكبراء والأمرء، ومن الوفود في أمر مهم، وأما الوصية فإنّها خاصّة، فتكون لقوم مخصوصين أو لشخص مخصوص في زمن خاص على شيء خاص، وكثيرا ما كانت تصدر من شخص لعشيرته، أو سيد لقبيلته عند حلول مرض، أو محاولة نقله أو ما شابه ذلك.

ومما اصطلح عليه باسم غير مسعى الخطبة وهو خطبة:

- 1- إلقاء كلمة.
- 2- وإذاعة البيان.
- 3- والخطاب.
- 4- والمحاضرة في كثير من الأحيان.
- 5- وكذلك الدرس في أحيان كثيرة.
- 6- والمجلس.
- 7- والوعظ.

فهذه كلّها خطب تختلف أنواعها بحسب السبب والغاية منها، وهذه التسميات هي اصطلاحات عرفيّة لكل نوع منها، وسيأتي بيان ذلك في أنواع الخطب عند العرب.

أَهْمِيَّةُ الْخَطَابَةِ

الخطابة هي فنٌ قوليٌّ، وأسلوب تعبيرِيٌّ، وعنصر أدبيٌّ، لها تأثير بالغ، لا يكاد يلحق بها فنٌّ من فنون كلام البشر الأخرى، وذلك لسرعة نفوذها للنفوس، وتغلغلها في القلوب، وشدة تأثيرها في السامع، فهي أرقى من الشعر، وأهمّ منه؛ لما فيها من وضوح المعاني، وسلاسة الأسلوب، وخلوصها من التكلف للوزن والقافية كما هو الحال في الشعر.

وقد كانت الخطابة وسيلة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوة أممهم وتعليمهم، فنوح عليه الصلاة والسلام ذكر الله تعالى له خطبة في القرآن الكريم من دعوته، وهي في سورة نوح: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا} (1).

وشعيب عليه الصلاة والسلام كان بعض السلف يسميه: " خطيب الأنبياء "؛ يعني لفصاحته وعلو عبارته، وبلاغته في دعوة قومه إلى الإيمان برسالته (2).

وفي الصحيحين: «قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرِدْ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِي بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ...» الحديث (3).

وفيه ذكر قصته مع الخضر عليهما السلام، التي ذكرت في سورة الكهف.

(1) نوح: 10 - 20.

(2) ينظر: قصص الأنبياء: 1 / 276، وروى الحاكم في ذلك حديثا، لكنه ضعيف، إسناده منقطع، ينظر: المستدرک على الصحيحين: 2 / 620، برقم: 4071.

(3) متفق عليه: صحيح البخاري: 1 / 35 - 36، برقم: 122، وصحيح مسلم: 4 / 1847 - 1847، برقم: 2380.

وداود عليه الصلاة والسلام آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، فقال الله تعالى: {وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ} (1).

وخاتمهم سيدنا وحبیبنا محمد ﷺ أوتي جوامع الكلم، خطيب الأنبياء، وخطيب الأمم (2)، وخطبه معلومة محفوظة مشهورة..

وهي كذلك وسيلة الخلفاء والعلماء من بعدهم، والأمراء والوزراء؛ لذلك اعتنت بها الأمم عناية فائقة، وخصّصت لها المعلّمون، ووضعت لها المناهج والأسس؛ لأنّه لا بدّ لكلِّ أُمَّةٍ من خطباء يحملون أمجادها، ويحفظون مآثرها، ويذودون عنها..

وكان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقَيِّدُ عليهم مآثرهم ويُضخِّمُ شأنهم ويهوّل على عدوّهم ومن غزاهم، ويُهيِّب في فرسانهم ويخوّف من كثرة عددهم ويهايم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم، فلمّا كثّر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوق، أي: عامّة الناس، وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر، فبدأت مكانة الخطيب الخطيرة ترتفع منذ العصر الأمويّ بينما أخذت مكانة الشاعر تقلّ؛ بسبب اتّخاذ الشعر وسيلة للتكسّب، وإلى تعاظم شأن الخطابة للحاجة إليها ولمعالجتها أموراً سياسيّة ودينيّة خطيرة (3).

(1) سورة ص: 20.

(2) ينظر: قصص الأنبياء: 1 / 276.

(3) ينظر: البيان والتبيين: 1 / 203.

ظاهرة العزوف عن الخطابة وضررها

من الظواهر المحزنة عزوف كثير من طلبة العلم، والمتديّنين ومن كبار الناس وممثلهم، وأهل الشأن عن الخطابة تحت ذرائع شتى، ومعظمها أعداء واهية، وأضرار متوهّمة غير حقيقية، ولا يخفى أنّ كثيرا منها من وساوس الشيطان ومكائده، " فالشيطان قد يحبّب إلى طالب العلم النفرة من الشهرة والمبالغة في إصلاح سيرته ونيّته؛ ليشغله بذلك عن الطاعات الفاضلة الكثيرة الثواب، كالدعوة إلى الله تعالى، والتصنيف وإلقاء الخطب والمحاضرات " (1)، فيا ليتهم يتفكّرون، ويسألون أنفسهم: لمن نفسح المجال؟! ومن سيقوم بواجب الدعوة الصحيحة وتوعية الناس، وتعليمهم العلم الصحيح إن نحن اعتزلنا وعزفنا عن الخطابة؟!!

وإذا نحن اعتزلنا الخطابة ورفضنا القيام بالمسؤولية الشرعية فلماذا نتباكى على ظهور الجهل وموت السنن وانتشار البدع، واعتلاء المنابر ممّن ليسوا أهلها؟! وإذا اعتزلها أهلها فلماذا يغضبون ممّن يحل مكانهم؟!!

إنها أسئلة مرّة وجوابه أشدّ مرارة؛ لأنّ التقصير فيمن اعتزل، وفتح الباب لذوي الجهل، فهو أول الملوّمين، ولا ينفعه التباكي والتحسّر على ما يحدث من خلل وتقصير، وهو قاعد مع القاعدين، ومتخلف مع الخالفين، ولكنّ لنعلم جميعا أنّ دين الله منصور بنا أو بغيرنا، فلا نتخلى عن قافلة النصر المحتوم، فنحرم أنفسنا فضل المشاركة والمسابقة إلى الله تعالى: {ها أَنْتُمْ هُوَلاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} (2).

وكفى بهذه الآية زاجرا ورادعا لمن يبخل عن الإنفاق في سبيل الله سواء كان الإنفاق مالا، أو علما ونصحا وتوجيها، أو جهدا وسعيا ودعوة وخطابة، أو غير ذلك من وجوه الخير، فمن بخل فإنّما يبخل عن نفسه، وليس عن غيره، أي: يحرم نفسه في

(1) صناعة طالب علم ماهر، الشيخ أحمد الطيار: 118.

(2) سورة محمد ﷺ: 38.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

بخله هذا؛ لأنَّه هو المتضرر من البخل هذا، والله تعالى غنيٌّ عنه، وإنَّ الله تعالى يستبدله بخير منه.

وأما الذين يزهدون الناس بالخطابة، ويوسوسون لطلبة العلم بتركها فهؤلاء خطرهم عظيم وهم في فعلهم هذا يصدُّون عن سبيل الله، ويتركون الدعوة إلى الله تعالى لينشغلوا بسفاسف الأمور، وبالغيبة والتجريح وتصنيف طلبه العلم والدعاة والوقوع فيهم، ولعلَّ السبب في صدِّهم عن الخطابة هو إمَّا الجهل بمكانة الخطابة، وإمَّا حظوظ النفس والحسد والتنافس بين الأقران، والله المستعان وعليه التكلان، ونسأله صلاح النفوس والأحوال.

خَاطَبَةُ الْعَرَبِ

لم تخلُ أُمَّةٌ من الخَاطَبَةِ، ولا غنى أياً جماعة عنها، وقد تقدّم قبل قليل الإشارة إلى خَاطَبَةِ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأنَّ خطبة نوح عليه الصلاة والسلام هي أقدم خطبة محفوظة على الإطلاق، وإنَّ للعرب قصب السبق في هذا الفنِّ، وقد سبقوا الأمم جميعاً في البراعة فيها، والإجادة، والاهتمام والعناية بها، والجِدَّة فيه والابتكار، بخلاف باقي الشعوب والأمم التي بقيت الخَاطَبَةُ فيها في ضعف وخمول، فالهند إنَّما لهم معان مدونة، وكتب مخلدة، لا تضاف إلى رجل معروف، ولا إلى عالم موصوف، وإنَّما هي كتب متوارثة، وآداب على وجه الدهر سائرة مذكورة.

ولليونانيين فلسفة، وصناعة منطق، وكان صاحب المنطق نفسه بكَيِّ اللسان، غير موصوف بالبيان، مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه، وبخصائمه، وهم يزعمون أنَّ جالينوس كان أنطق الناس، ولم يذكروه بالخَاطَبَةِ، ولا بهذا الجنس من البلاغة.

وأما الفرس ففهم خطباء، إلا أنَّ كلَّ كلام للفرس، وكلَّ معنى للعجم، فإنَّما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعاونة، وعن طول التفكير ودراسة الكتب، وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتى اجتمعت ثمار تلك الفكر عند آخرهم.

وأما العرب فإنَّما خَاطَبَتهم بديهية وارتجال، وكأَنَّها إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجاله فكر ولا استعانة، وإنَّما خَاطَبَتهم أن ينصرف وهُمُّه إلى الكلام وإلى المعنى الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالا، وتنتال الألفاظ انثيالاً، ثم لا يقيدده على نفسه، ولا يدرسه أحدا من ولده.

فعلى الرغم من أنَّهم أميون لا يكتبون، فهم مفوَّهون مطبوعين لا يتكلفون، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنطق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ، ويحتاجوا إلى تدارس، وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من كان قبله، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم، والتحم بصدورهم، واتصل بعقولهم، من غير تكلف ولا قصد، ولا تحمُّظ ولا طلب، وإنَّ ما

فن الخطابة وإعداد الخطيب

وصلنا من خُطِّبهم هو جزء يسير جدا، ولا يعلم جميع تراثهم إلا الله تعالى فهو العليم بكلِّ شيء، وهو الذي يحيط بما كان، والعالم بما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون⁽¹⁾.

(1) ينظر: البيان والتبيين: 20 / 3.

الفصل الأول

الخطيب

سنتناول في هذا الفصل بعون الله تعالى توجهات موجزة لما ينبغي على الخطيب أن يتحلى به من واجبات وآداب في نفسه، وما ينبغي أن يتَّسم به، وما يحتاجه من مقومات للخطابة، وما ينبغي أن يحذره من عيوب وأخطاء؛ ليكون على الجادة، ولينجح في مسيرته الخطابية، فيجعل الخطابة والمنبر مرآة لما حوى الإسلام من معرفة صالحة وتربية واعية:

المبحث الأول: واجبات الخطيب النفسية وصفاته

تضمَّن هذا المبحث أهمَّ الواجبات النفسيَّة، والصفات الخَلقية والعلميَّة التي ينبغي على الخطيب أن يحلَّى بها؛ ليكون خطيباً جيداً، ومصالحاً ناجحاً، وفي ما يأتي تفصيل لهذه الواجبات والصفات:

المطلب الأول: واجبات الخطيب في نفسه:

1- الإخلاص: الخطبة واجب شرعيّ، وإقامة شعيرة من شعائر الله، فهي كغيرها من العبادات لا تقبل إلا بالإخلاص لله تعالى، وينبغي للخطيب أن يحرص على الإخلاص في خطبته وفي السعي إليها وطلبها؛ فإن الله تعالى أمرنا أن نعبده وحده بأن نفرده ونوحده في كل عبادتنا وأن ننزهه عن الشريك، فلا نشرك به شيئاً كما أمرنا بالإخلاص في كل عمل نتقرب به إليه قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (1).

فقوله سبحانه: {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، أي: أن تكون عبادته خالصة لله ولا يشرك بها مع الله أحداً آخر كائناً من كان، في أيِّ عبادة كانت صلاة أو صياماً أو صدقة أو تلاوة، أو ذكراً، أو دعوة، أو خطابة، أو غير ذلك.

(1) سورة الكهف: 110.

فالواجب على كل عبد مكلف أن يكون مخلصاً لله سبحانه وتعالى في ذلك كله، وإلا فإنَّ عمله يردُّ ولا يقبل، ويكون وبالاً عليه، جاء في الحديث القدسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ»⁽¹⁾، أي: إنَّ عمله لا يقبل، ويرد عليه؛ لأنَّه أشرك بالله سبحانه وتعالى غيره.

وهذا أصل عظيم يتوقف عليه قبول العبادة أيَّ عبادة كانت وفي أي وقت كانت يجب أن تكون خالصة لله تبارك وتعالى ومن غير الإخلاص ترد على صاحبها، وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: «إنَّما الأعمال بالنيات وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»⁽²⁾.

ومن عجيب حكمة الله تبارك وتعالى أنَّ المرائي يطلب بعمله ثناء الناس عليه، ومدحهم له وإعجابهم به، لكنَّ ما يحصل له هو خلاف ما أراد تماماً فتجده مذموماً عند الناس مفضوحاً بعمله، وربَّما استهزأوا به لأجل ريائه.

2- الاتِّباع: من واجبات الخطيب في نفسه الإِتباع، لأنَّ اتِّباع النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سلم في كل عبادة هو أصل من أصول الدين، وواجب من واجبات الإسلام، وشرط في قبول أيِّ عمل تعبديّ يتقرَّب به الإنسان إلى ربِّه تبارك وتعالى؛ لهذا فسَّر قول الله سبحانه وتعالى: {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا} ⁽³⁾، بأنَّه: موافق للسنة، وقال الفضيل عياض رحمه الله تعالى في قوله سبحانه وتعالى: {لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} ⁽⁴⁾.

(1) صحيح مسلم: 4 / 2289، برقم: 2985.

(2) متفق عليه: صحيح البخاري: 1 / 1 برقم: 1، وصحيح مسلم: 3 / 1515، برقم: 1907.

(3) الكهف: 110.

(4) المملك: 2.

قال: "أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً، ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنَّة" (1).

وقد بيَّن لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أهميَّة اتِّباع السنَّة وتوقُّف قبول العبادة عليها فقال عليه الصلاة والسلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردٌّ» (2)، أي: من عمل عملاً ليس على السنة فهو مردود على صاحبه ولا يقبل منه.

فاتِّباع السنَّة والتعبُّد على وفقها هو الأصل الثاني لقبول العبادة، والأصل الأول هو الإخلاص، كما تقدَّم، قال الله تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (3)، فقولُه عزَّ وجلَّ: {وَهُوَ مُحْسِنٌ}، أي: محسن باتباعه سنة نبيه ﷺ، ولهذا قال عبدالله بن مسعود وأبيُّ بن كعبٍ رضي الله عنهما: "اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة، وكل بدعة ضلالة" (4).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة إنك إن تتبع خير من أن تبتدع ولن تخطئ الطريق ما اتبعت الأثر" (5)، ومعناه: أن العمل على وفق السنة وإن كان قليلاً فهو خير من العمل الكثير الذي هو خلاف السنة.

(1) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية: 10 / 333، 3 / 124، 7 / 495، ومواطن أخرى، والاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية: 1 / 248 - 249، 2 / 226 - 227، 308 - 309، ومفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم: 2 / 82.

(2) متفق عليه: صحيح البخاري: 2 / 959، برقم: 2550، وصحيح مسلم: 3 / 1343، برقم: 1718.

(3) سورة لقمان: 22.

(4) المعجم الكبير: 10 / 208، برقم: 10488، ومجمع الزوائد، أبو بكر الهيثمي: 1 / 419، والسنة، المروزي: 30، وينظر: مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية: 4 / 109، ومواطن أخرى، والفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية: 2 / 92، 138، والاستقامة، شيخ الإسلام ابن تيمية: 1 / 259، 2 / 311.

(5) السنة، المروزي: 32.

وممّا يؤسف له ويخشى من عواقبه: أن جملة من الناس يغفلون عن حقيقة المتابعة وأثرها في قبول العمل، ويظهر هذا جلياً في واقع كثير من الناس كما في دعاء بعضهم لبعض: نسأل الله لنا ولك الإخلاص، أو رزقك الله الإخلاص، ويندر في مثل هذا الدعاء أن تضاف إليه المتابعة، بيد أن الأولى أن يقال: نسأل الله لنا ولك الإخلاص والمتابعة. أو يكتب بقول: نسأل الله لنا ولك القبول؛ إذ إن القبول لا يتم إلا بتوفر الأمرين معاً. والله الموفق⁽¹⁾.

والواجب علينا أن ننطلق في دعوتنا من كتاب ربنا ومن سنة نبينا صلى الله عليه وسلم السنة الصحيحة منها، وهذا الانطلاق ناشئ من اقتناعنا القطعي وليس الظني، أن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه: «فإنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ»⁽²⁾، والخيرة هنا هي خيرة مطلقة من كل وجه، فهدي النبي ﷺ هو الخير من كل وجه، كما أن الشر هنا هو شر مطلق فالبدع والمحدثات هي شر من كل وجه، ولذلك فإننا "نعتقد جازمين أن السبيل الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ليس له بديل، ولا يجوز لفرد، أو لأفراد، أو لجماعة، أو لجماعات أن يتخذوا سبيلاً غير سبيل الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا أن يتبعوا سبيلاً غير سبيل المؤمنين وهم أصحاب النبي ﷺ"⁽³⁾، فهذا هو السبيل الحق، والصراط المستقيم، وما عداه هي السُّبُل التي من اتبعها فقد وقع في المحذور وهو التفرُّق عن سبيل الله.

3- النصح لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين وعامتهم: ومن واجبات الخطيب في نفسه أن يجعل قصده وغايته من خطابته النصح لله ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة

(1) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 14.

(2) متفق عليه: صحيح البخاري: 8/25، 9/92، برقم: 6098، 7277، وصحيح مسلم: 2/592، برقم: 867. واللفظ لمسلم.

(3) ينظر: تفريغ سلسلة الهدى والنور للشيخ الألباني: 2/489.

المسلمين وعامتهم؛ وذلك عملاً بقول النبي ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قلنا: لمن؟ قال: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»⁽¹⁾.

قال الإمام النووي رحمه الله: " هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام، وأما ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام، أي: أحد الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده"⁽²⁾.

وقال الإمام ابن حبان صاحب صحيح ابن حبان (ت: 354هـ) رحمه الله: " الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة، وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معاً، إذ إن المصطفى ﷺ كان يشترط على من بايعه من أصحابه «النصح لكل مسلم»⁽³⁾، مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة"⁽⁴⁾.

وقال أيضاً: "خير الإخوان أشدُّهم مبالغة في النصيحة، كما أن خير الأعمال أحدها عاقبة وأحسنها إخلاصاً، وضرب الناصح خير من تحية الشانئ"⁽⁵⁾، لأنَّ النصح للمسلمين عامة أمانة كبرى من أمارات الاهتمام بأمورهم، وبإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في واقعهم، وبيان حجة أهل السنة والجماعة وجهادهم لنصرة الحق بالقلم واللسان كما قد كان مرات وكرات بالسيف والسنان، ومما لا شك فيه أن النصح دعامة من دعومات هذا الدين، وشعار من شعاراته، وشعيرة من شعائره الكبرى: {ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَيَأْتِهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ}⁽⁶⁾.

قال الإمام أبو داود السجستاني صاحب السنن رحمه الله: " كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث، انتخبت منها ما ضمنته هذا الكتاب - يعني كتاب السنن - جمعت فيه أربعة آلاف وثمانمائة حديث، ذكرت الصحيح وما يشبهه ويقاربه، ويكفي

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان: 1 / 74 ، برقم: 55.

(2) شرح النووي على صحيح مسلم: 2 / 37.

(3) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، برقم: 57، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، برقم: 199.

(4) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: 194.

(5) المصدر نفسه: 195.

(6) الحج: 32.

الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث، أحدها: قوله ﷺ: «الأعمال بالنيات»⁽¹⁾، والثاني: قوله: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»⁽²⁾، والثالث: قوله: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضاه لنفسه»⁽³⁾، والرابع: قوله: «الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات..»⁽⁴⁾ الحديث⁽⁵⁾.

والذي يرضاه المؤمن لنفسه هو الاستقامة على منهج أهل السنة والجماعة وهو منهج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، وبالتالي فإنَّ منهج أهل السنة هو ما ينبغي أن يرضاه المؤمن، وينصح به غيره، فلينتبه الخطباء لهذا، وفقَّ الله الجميع لما يحبُّ ويرضى⁽⁶⁾.

4- موافقة قول الخطيب فعله: من واجبات الخطيب في نفسه وكذلك كلُّ داعية أن يوافق قوله فعله، ولا يخالفه؛ لأنَّ مخالفة القول العمل أمر خطير، وهو سبب لمقت الله لمن يوصف بذلك، كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}⁽⁷⁾.

وقال سبحانه ذاماً ما وقع فيه بنو إسرائيل بقوله: {اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبُرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ}⁽⁸⁾.

وجاء في سنة النبي ﷺ ما يدلُّ على خطورة ذلك على الخطباء الذين يعتلون المنابر ويعظون الناس وينسون أنفسهم ويقولون ما لا يفعلون، فعن أنس بن مالك رضي

(1) متَّفَق عليه: صحيح البخاري: 1 / 6 ، برقم: 1 ، وصحيح مسلم: 3 / 1515 ، برقم: 1907.

(2) حديث صحيح - سنن الترمذي: 4 / 558 - 559 ، برقم: 2317 ، وسنن ابن ماجه: 2 / 1315 ، برقم: 3976. وصححه الألباني.

(3) متَّفَق عليه: صحيح البخاري: 1 / 12 ، برقم: 13 ، وصحيح مسلم: 1 / 67 ، برقم: 45. وهذا اللفظ لأبي داود.

(4) متَّفَق عليه: صحيح البخاري: 1 / 20 ، برقم: 52 ، وصحيح مسلم: 3 / 1219 ، برقم: 1599.

(5) معالم السنن = شرح سنن أبي داود: 4 / 365 - 366.

(6) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 14 - 16.

(7) الصف: 2 - 3.

(8) البقرة: 44.

قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار»، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: «خطباء من أهل الدنيا، كانوا يأمرؤن الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون»⁽¹⁾، قال ابن قدامة رحمه الله في سياق شرحه لهذا الحديث: "ويستحبُّ أن يكون في خطبته متَّعظاً بما يعظ الناس به"⁽²⁾.

وعن أسامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار، فيقولون: أي فلان، ألسنت كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: إني كنت أمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله»⁽³⁾.

وعن أبي تميمه عن جندب بن عبد الله البجلي الأزدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه»⁽⁴⁾.

لكنَّ هذا ليس على إطلاقه، وإنَّما هو لمن غلبت عليه المعاصي، ولم يبال باقتوافها، بل ربَّما تعدَّى ذلك إلى المجاهرة فيها، وإلا فمجرّد حصول الذنب لا يخلو منه أحد من البشر، قال البيهقي جامعاً بين أدلة ذم الأمر بالشيء أو النهي عنه والأمر مخالف لما يأمر به أنَّ عدم الدم: "فِيْمَنْ يَكُونُ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الطَّاعَةُ، وَتَكُونُ الْمُعْصِيَةُ

(1) حديث صحيح- مسند الإمام أحمد: 19 / 244 ، برقم: 12211. صححه الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة: 1 / 587. وشعيب الأرنؤوط.

(2) المغني: 3 / 180.

(3) متَّفَق عليه: صحيح البخاري: 9 / 55 ، برقم: 7098 ، وصحيح مسلم: 4 / 2290 ، برقم: 2989.

(4) حديث صحيح- جامع بيان العلم وفضله: 1 / 674، والمعجم الكبير للطبراني: 2 / 165 ، برقم: 1681. وصحَّحه الألباني، ينظر: تخريج اقتضاء العلم العمل: 49 ، سلسلة الأحاديث الصحيحة: 7 / 1133 ، في التعليق على الحديث: 3379 ، وصحيح الترغيب والترهيب: 2 / 289 ، برقم: 2328 ، وصحيح الجامع الصغير وزيادته: 2 / 1015 ، برقم: 5831.

مِنْهُ نَادِرَةٌ، ثُمَّ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ، وَالْأَوَّلُ فِيمَنْ يَكُونُ الْغَالِبُ عَلَيْهِ الْمَعْصِيَةُ، وَتَكُونُ الطَّاعَةُ مِنْهُ نَادِرَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".⁽¹⁾

وفي هذا السياق قال سعيد بن جبير: "إن لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر إلا من يكون فيه شيء؛ لم يأمر أحد بشيء، فأعجب مالكا ذلك من سعيد بن جبير"⁽²⁾.
وقال الحسن البصري لمطرف بن عبد الله بن الشخير: يا مطرف، عظ أصحابك، فقال مطرف: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل. فقال الحسن: يرحمك الله! وأينا يفعل ما يقول؟ لَوَدَّ الشَّيْطَانُ أَنَّهُ ظَفِرَ بِهَذِهِ مِنْكُمْ، فَلَمْ يَأْمُرْ أَحَدًا بِمَعْرُوفٍ، وَلَمْ يَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ"⁽³⁾.

وقال الإمام النووي رحمه الله: قال العلماء: لا يشترط في الأمر والنهي أن يكون كامل الحال ممتثلاً ما يأمر به مجتنباً ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مغلاً بما يأمر به، والنهي وإن كان متلبساً بما ينهى عنه، فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاها، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر"⁽⁴⁾.
والخلاصة:

إنَّ هذه الأدلة بمجموعها تدلُّ على شِدَّةِ النكير على من عَلِمَ فلمْ يعمل بما علمه، وهذه صفة من صفات اليهود فهم يعلمون، ولا يعملون، ويتضح أيضاً خطورة هذا الأمر بحال الناس مع الخطيب الذي يخالف قوله فعلة فإنهم يزدرونه إذا علموا منه ذلك، ويكون عندهم محلاً للشتماتة والسخرية، هذا فضلاً عن عقوبة ذلك في الآخرة واشتداد إثمه، والله المستعان⁽⁵⁾، وليس المقصد أن يترك الخطابة والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وجد تقصيراً من نفسه، بل عليه إذا هو خطب، ووعظ أن يعظ نفسه والسامعين، وليس السامعين فقط، قال أبو عُثْمَانَ المغربي: قَالَ لِي أَبُو حَفْصٍ: " إِذَا جَلَسْتَ لِلنَّاسِ فَكُنْ وَاعِظًا لِقَلْبِكَ وَلِنَفْسِكَ وَلَا يَغْرُنْكَ اجْتِمَاعُهُمْ عَلَيْكَ فَإِنَّهُمْ

(1) شعب الإيمان: 61 / 10.

(2) إحياء علوم الدين: 313 / 2 ، وتفسير القرطبي: 411 / 1.

(3) تفسير القرطبي: 410 / 1.

(4) شرح النووي على صحيح مسلم: 300 / 1.

(5) الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 21 - 23.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

يراقبون ظاهره والله تعالى يراقب باطنك" (1)، فالقصد هو أن يجتهد في إصلاح نفسه، ونصح غيره، كما قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (2)، فالله تعالى أوجب على المؤمن أن يسعى لنجاة نفسه أولاً بقوله: {قُوا أَنفُسَكُمْ} وأهله ثانياً بقوله: {وَأَهْلِيكُمْ} والناس ثالثاً بقوله: {نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ}، فإذا كان الناس وقود النار وجب تحذيرهم وإنقاذهم.

(1) الرسالة القشيرية: 1 / 331.

(2) التحريم: 6.

المطلب الثاني: صفات الخطيب الجيد:

قوام الخطبة على البيان، وأول أركانه اللفظ، ونذكر هنا ما يتعلق باللفظ من محاسن الخطيب ومعايبه، فنقول: كل ما كان في الخطيب معينا على الإفصاح في اللفظ فهو من محاسنه، وكل ما كان مخلا بالإفصاح في لفظه فهو من معايبه، ونذكر الآن صفات الخطيب الجيد ومحاسنه:

1- جهورية الصوت: يستحسن في الخطيب أن يكون جهوريَّ الصوت؛ ليكون لفظه أفصح، وتأثيره في نفوس السامعين أشد؛ فإنَّ الصوت الضئيل لا يؤثر مثل الجهير، وهذا الذي حمل المتشددِّين على التشدُّق والتعقير؛ لأنَّ العرب كانوا يمدحون جهير الصوت، ويذمُّون ضئيله؛ ولذلك مدحوا سعة الفم وذموا صغره⁽¹⁾؛ لأنَّ سعة الفم مظنة لجهورية الصوت.

قيل لأعرابي ما الجمال؟ قال: " طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق وبعد الصوت "، وبدلُّ على تفضيلهم سعة الأشداق وهجائهم ضيق الأفواه قول الشاعر⁽²⁾:

لحى الله أفواه الدُّبى من قُبيلة إذا ذكرت في النائبات أمورها

وإنما شبَّه أفواههم بأفواه الدبى لصغر أفواههم وضيقها.

وقد كان العباس بن عبد المطلب ﷺ جهير الصوت، ومدح بذلك، وقد نفع الله المسلمين بجهارة صوته يوم حنين حين ذهب الناس عن رسول الله ﷺ، فنادى العباس: يا أصحاب سورة البقرة هذا رسول الله ﷺ. فتراجع القوم وأنزل الله عز وجل النصره وأتى بالفتح⁽³⁾.

2- القدرة على القول: بأن يكون رابط الجأش، ثابت الجنان، لا يتهيب خصام المخاصمين وإن كثروا، ولا جدال المجادلين وإن عظموا، واجتمعوا⁽⁴⁾؛ فإنَّ قوام

(1) ينظر: نفع الطيب في الخطابة والخطيب: 11.

(2) البيان والتبيين: 1 / 119.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 1 / 119، وسيرة ابن هشام: 1 / 444 - 445.

(4) ينظر: نفع الطيب في الخطابة والخطيب: 13.

الخطابة الكلام، ومن تعسّر عليه القول فقد حُرِمَ من الخطابة، وكلما كان مَفْوّهًا، وطلق اللسان أكثر كان على الخطابة أجدر.

3- جمال الطلعة: بأن يكون الخطيب ذا هيئة حسنة، وحسن البزة، وحسن السمات، وجميل الصورة، وجميل المنظر؛ فإنّ هذه الأمور من متمامات الكمال، كما أنّ فيها تعبُدُ لله تعالى باسمه الجميل، فقد سئل النبي ﷺ عن الرجل يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ نَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»⁽¹⁾، كما ان فيه تحبب للخلق⁽²⁾.

4- أن يكون كثير الريق: حتى لا يجفّ فمه إن أطال الخطبة؛ لأنّ الريق إذا جفّ صعب عليه الكلام، وتلجج فيه؛ ولذلك ترى الخطباء اليوم إذا أراد أحدهم أن يخطب في بعض المحافل والمجامع وضعوا له في جانبه شربة ماء ليشرّب منها أثناء الخطبة جرعا يستعين بها على الكلام⁽³⁾.

5- الإعداد والتحضير: إنّ التحضير المتقن دلالةُ احترام المرء لنفسه ولسامعيه، وقد تَفَجَّأَ الإنسانَ مواقفٌ يَرتجِلُ فيها ما يَلْقَى به الناسَ ويصور ما بنفسه، والواقع أن القدرة على الارتجال تَجيء بعد أوقات طويلة من الدُرْبَةِ على التحضير الجيد، وعلى تكوين حصيلة علمية مُواتية لكل موقف، ومع ذلك فإنّ المهارة في الارتجال لا تُغني عن حسن التحضير للعالم الذي يريد أداء واجبه بأمانة وصدق، والذي يقدر إنصتَ الناسَ له واحتفاءهم بما يقول⁽⁴⁾.

6- الإيجاز: فإنّه أَعْوَنُ على تثبيت الحقائق وَجَمْعِ المشاعر والأفكار حول ما يراد بثّه من تعاليم، فإنّ الكلام الكثير يُنسي بعضه بعضًا، وقد تضيع أهم أهدافه في زحام الإطناب والإفاضة، ألا ترى الأرض تحتاج إلى قَدَرٍ مُحدّد من البذور كيئما تنبت، فإذا كثر النبات بها تَخَلَّلَهَا الفلاح باجتثاث الزائد حتى يُعطيَ البقيةَ فرصةَ النماء

(1) صحيح مسلم: 1/ 93، برقم: 91.

(2) ينظر: نفح الطيب في الخطابة والخطيب: 13.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 13.

(4) ينظر: مائة سؤال عن الإسلام: 382.

والإثمار! كذلك النفس البشرية لا تَزْكُو فيها المعاني إلا إذا أُمكِن تحديدها وتقويمها، أما مع كثرة الكلام وبعثرة الحقائق فإنَّ السامع يتحول إلى إناء مُغْلَق وتسيل من حوله الكلمات مهما بلغت نَفَاسَتُهَا.

وللإطنابِ المُمِلِّ أسبابٌ معروفة، منها: سوءُ التحضير، فإنَّ الخطيب الذي يَلْقَى الناسَ بالجُرَافِ من الأحكام والتوجيهات لا يَدْرِي بالضبط أين بلغ قوله، وهل وصل إلى حَدِّ الإقناع أم لا، فيحمله ذلك على التكرار والإطالة، وما يزداد من الجمهور إلا بُعْدًا. وقد تنشأ الإطالة عن سوء التقدير للوقت والمواقف، فيظنُّ الخطيب أنَّ بإمكانه أن يقول ما عنده وعلى الناس أن ينصتوا طَوْعًا أو كَرْهًا، وهذا خطأ.

مما يُحَكِّي في قيمة الإيجاز أن أحد الرؤساء طُلب منه إلقاء خطبة في بضع دقائق، فقال: أمهلوني أسبوعًا. ف قيل له: نريدها في ربع ساعة. قال: أستطيع بعد يومين. قيل له: فإذا طلبناها في ساعة؟ قال: فأنا مُسْتَعِدُّ الآن؛ وذلك لأنَّ الإيجاز يَتَطَلَّبُ الموازنةَ والاختيارَ والمَحْوَ والإثباتَ، وأما الكلام المرسل فالجهد العقليّ فيه أقلّ، والحقيقة أن خمس دقائق تستوعب علمًا كثيرًا، وعشر دقائق وخمس عشرة دقيقة تستوعب خطبة أو محاضرة جيدة⁽¹⁾.

7- قوة البيان وفصاحة اللسان، وتسمى أيضا شدة العارضة، فينبغي للمرء أن لا يتصدّر للخطابة إذا لم ير في نفسه المملكة والقدرة والكفاءة، إذ ما كل شخص يصلح أن يكون خطيباً، كما أنه ليس كل من تطبب يُعَدُّ طبيباً⁽²⁾، وقد كان من عادة السلف الصالح أن لا يتولى أحد منهم أمر الخطابة إذا لم ير من نفسه القدرة عليها، أو أنه أهل لها، كما أن السلف رضي الله عنهم لم يجعلوا الخطابة نوعاً من الأداء الوظيفي العادي، أو التكسب المالي، وما ذاك إلا لإحاطتهم بعظم شأنها وعلو مكانتها، فإن الخطيب ينبغي أن يكون عالماً بما يقول، وبما يأتي وما يذر، ومعرّباً مبيناً جهورياً صادقاً ونحو ذلك. عَن عَلِيٍّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَعَثَهُ بِرَاءَةً، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ إِنِّي لَسْتُ بِاللَّسِينِ، وَلَا بِالْخَطِيبِ، قَالَ:

(1) ينظر: مائة سؤال عن الإسلام: 382 - 383.

(2) ينظر: نفع الطيب في الخطابة والخطيب: 1 / 13، والشامل في فقه الخطيب والخطبة: 39-40.

«مَا بُدُّ أَنْ أَذْهَبَ بِهَا أَنَا أَوْ تَذْهَبَ بِهَا أَنْتَ» قَالَ: فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَسَاءَ ذَهَبُ أَنَا. قَالَ: «فَأَنْطَلِقُ فَإِنَّ اللَّهَ يُثَبِّتُ لِسَانَكَ وَيَهْدِي قَلْبَكَ» قَالَ: ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ (1).

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: حَضَرْنَا صَنِيعًا لِعَبْدِ الْأَعْلَى بْنِ هَالِلٍ فَلَمَّا فَرَعْنَا مِنَ الطَّعَامِ، قَامَ أَبُو أَمَامَةَ رضي الله عنه فَقَالَ: لَقَدْ قُفْتُ مَقَامِي هَذَا، وَمَا أَنَا بِخَطِيبٍ وَمَا أُرِيدُ الْخُطْبَةَ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ عِنْدَ انْقِضَاءِ الطَّعَامِ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُودَعٍ وَلَا مُسْتَعْنَى عَنْهُ» قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهُنَّ عَلَيْنَا حَتَّى حَفِظْنَاهُنَّ (2).

ففي هذين الحديث دلالة واضحة على أن المرء لا ينبغي له أن يعتلي المنبر أو يقوم مقام الخطيب إلا وهو يعلم من نفسه القدرة على ذلك من كافة وجوه القدرة على الخطابة، وأنه ممن يستحق الوصف بـ "لسنٌ وخطيبٌ"، قال أبو الحسين العمراني: "ويستحب أن يكون كلامه مسترسلاً معرباً بلا تمطيط ولا مدٍّ، ولا يأتي بالكلام الغريب المستنكر الذي تخفى عليهم أو على بعضهم المعاني فيه؛ لأن القصد بالخطبة الموعظة، ولا يحصل إلا بما ذكرناه" (3).

وقال نحو كلام أبي الحسن العمراني كلُّ من الشافعي والبخاري والنووي وابن قدامة رحمهم الله جميعاً.

وهذه الملكة ليست واجبة على الخطيب وإلا لتوقفت الخطبة وقلَّ الخطباء؛ لأن عدداً ليس بالقليل من الخطباء ليس لهم اهتمام بهذا الجانب، ولكن الذي ينبغي على الخطيب هو أن يجتهد في أن تكون الخطبة قوية المعنى سليمة المبنى وإلا كان النفع قليلاً، وكلما كان اللسان أبين فهو أقوى وأجمل، وأشدُّ تأثيراً في النفوس، كيف لا وقد طلب موسى عليه الصلاة والسلام ذلك من ربه، فقال الله تعالى عنه: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي} (4)، وقال: {وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءاً

(1) حديث حسن لغيره - مسند الإمام أحمد: 2 / 423 - 424 ، برقم: 1287. وحسنه شعيب الأرنؤوط.

(2) حديث صحيح - مسند الإمام أحمد: 26 / 592 ، برقم: 22256. وصححه شعيب الأرنؤوط.

(3) البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسن العمراني: 2 / 578 .

(4) طه: 27 - 28.

يُصَدِّقُنِي} ⁽¹⁾، فلو لم يكن للفصاحة هذا المكان والأهميّة لما طلب موسى عليه الصلاة والسلام من ربه إرسال أخيه هارون ليكون رداءً له، أي: معينا وناصرا ⁽²⁾.
علاج اللحن:

ظاهرة اللحن ممّا عمّت بها البلوى خاصّة في هذا الزمان، حتى أنّك تجد من الخطباء من يلحن لحنا جليّاً، ويجانب الإفصاح، أو إعراب الكلام على الوجه الصحيح، بخلاف العصور الأولى، فكان اللحن فيما عندهم أمراً مستنكراً حتى لو صدر من العامّة قال ابن قتيبة: "دخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال: سبحان الله! يلحنون ويربحون" ⁽³⁾، وللتخلّص من اللحن وحلّ مشكلته تكون بأحد طريقتين:
الطريق الأول:

إنّ كان الخطيب ممّن درس علوم الآلة، ومنها علم النحو وعلم البيان والبلاغة، أو كانت لديه مفاتيح النحو بحيث يميز بين المرفوع والمجرور، والمنصوب والمجزوم، وتقدم العامل على المعمول وما أشبه ذلك؛ فما عليه إلا أن يطبّق ما درس على خطبته شيئاً فشيئاً حتى يطابق علمه النظري واقعه العملي، وممّا لا شك فيه أن هذا لا يتأتّى لأول وهلة هكذا، ولا طفرة دون تدرج، بل لا بدّ من المداومة على ذلك، والصبر حتّى تقوى قريحته ويستقيم لسانه، وتصل سليقته شيئاً فشيئاً ⁽⁴⁾.
الطريق الثاني:

إن لم يكن الخطيب ذا إلمام بالنحو وعلم البيان والبلاغة، فلا أقلّ من أن يعرض الخطبة على من يملك ذلك ليصحّح له ما فيها من أخطاء، وهذا ليس بعيب فإنّ المرء لا يولد عالماً، وما هي إلا مدّة من الزمن حتى يصبح للخطيب بعدها ملكة تعينه على سلامة الخطبة من اللحن ورداءة الأسلوب، ويكون الإعراب له سليقة، فالخطابة كسائر الصناعات والمواهب يتفاوت الناس في إتقانها والأخذ بزمامها من حيث الزمن،

(1) القصص: 34.

(2) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 42.

(3) عيون الأخبار: 2 / 556.

(4) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 45.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

فمنهم من ينجز ذلك في وقت يسير، ومنهم من يحتاج إلى زمن أطول من ذلك، والخطباء البلغاء كانوا يأخذون أنفسهم بالتدرب على الخطبة إلى أن تصير لهم سجيّة وعادة وسليقة، وقد قالوا: " إن عمرو بن سعيد بن العاص الأموي كان لا يتكلم إلا اعترته حبسة في منطقه، فلم يزل يتشادق ويعالج إخراج الكلام حتى مال شدقه، ولذا لقب بالأشداق وفيه يقول الشاعر⁽¹⁾:"

تشادق حتى مال بالقول شدقه وكلُّ خطيبٍ لا أباً لك أشدُّ
فالتدربُ والملكة لا تكون إلا ممَّن سلك سبيلها واصطبر عليها يوماً فيوماً، ورؤُص
عليها لسانه في المنتديات العامة والجمع والأعياد ونحو ذلك، ولو راعه الموقف أولاً أمنه
آخرأً، فقديمأً قيل: من وقف حيث يكره وقف حيث يحبُّ⁽²⁾، فما هي إلا مدّة ويتقن
الإعراب والخطابة من أخذ سبيلها والتزم طريقها إن شاء الله تعالى.

(1) البيان والتبيين: 1 / 118 ، 258.

(2) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 45 - 46.

المبحث الثاني

آداب الخطيب وعيوبه

تضمّن هذا المبحث جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلّى بها الخطيب، وتتبعها جملة من العيوب التي يجب أن يجتنمها الخطيب، ويتعد عنها، فنذكر العيوب للاجتنب والتحذير كما قال:

تعلمت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه

وكان المبحث من مطلبين: المطلب الأول آداب الخطيب في الخطبة، والمطلب

الثاني: عيوب الخطيب، وسنتناولهما فيما يأتي:

المطلب الأول: آداب الخطيب في الخطبة:

على الخطيب أن يراعي جملة من الآداب في الخطبة؛ فإنّها مهمّة، ومن هذه

الآداب:

1- عدم النظر في عيون الناس: فإنّ ذلك عيٌّ وهو الضعف في الكلام، وتشتيت للذهن، وشروء للمادّة، وربما كان عنده أمر مع أحدهم فيخطر له أثناء النظر في وجهه فينصرف ذهنه إلى ذلك الأمر عن خطبته وموضوعه؛ فعلى الخطيب أن لا ينظر في عيون الناس وتقاسيم وجوههم، بل ينظر إلى الناس نظرات عامة لا نظر فيها لعيونهم، حتّى لا في ينشغل بوجوههم؛ ليبقى مسترسلا في كلامه طاردا للنسيان وتفلت الأفكار.

2- عدم مسّ اللحية: فإنّ مسّ اللحية في الخطبة علامة على الحيرة والاضطراب، وعدم اجتماع فكره، وتعسّر الكلام عليه وهو ما يعرف بـ "العيّ والحصر" وهما من أفدح عيوب الخطيب، لذلك تعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا إلى الله في السلامة منهما، قال النّمّر بن تولب⁽¹⁾:

أعدني ربّ من حَصِرٍ وعيٍّ
ومن نفسٍ أعالجها عِلاجًا

(1) البيان والتبيين: 1 / 27.

ومما ذموا به العيِّ قوله⁽¹⁾:

وما بي من عيِّ ولا أنطقُ الخَنَا إذا جَمَعَ الأَقوامَ في الخَطْبِ مَحْفَلُ
ومما ذموا به الحصر ومس اللحية، قول أحدهم⁽²⁾:

مليِّ بِبُهْرٍ وَالتِّفَاتِ وَسَعَلَةٍ وَمَسْحَةِ عُثُنُونٍ وَفَتْلِ أَصَابِعِ

3- ألا يخرج مما بنى عليه أول الكلام: تقدّم في تعريف الخطبة أنّها: "مقدّمات يقينيّة أو شبه يقينيّة تؤدّي إلى نتائج مقبولة" فإنّ خروج الخطيب من تلك المقدّمات إلى ما هو بعيد عنها فيه إسهاب، وتشتّت للموضوع، وسيأتي في أجزاء الخطبة أنّ حسن اختيار هذه المقدّمات تكون براعة في الاستهلال، وهي المقدّمات اليقينيّة، أو المقبولة، أو الظنيّة، وتكون إمّا دليلا، أو عبارة، وهي فاتحة للموضوع، والموضوع يبني على هذا الاستهلال؛ فإنّ هو خرج عنه ضاع موضوع الخطبة، وتفرّقت فوائدها.

4- تجنب الحشو في الكلام: من آداب الخطبة ألا يستعين الخطيب في خطبته بالحشو، فإنّ الحشو لا يخلو من تكرار مملّ، أو كلام زائد، أو خروج عن الموضوع، بل ربّما كان بعضه لغوا لا طائل فيه، فتعيّن على الخطيب أن يصون خطبته منه، قال الجاحظ: حدثني صديق لي قال: قلت للعتابي: "ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كل خطيب، فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق. قال: فقلت له: قد عرفت الإعادة والحبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، ويا هذا، ويا هيه، واسمع مني واستمع إلي، وافهم عني، أو لست تفهم، أو لست تعقل، فهذا كله وما أشبهه عيٌّ وفساد"⁽³⁾.

(1) المصدر نفسه: 1 / 28.

(2) المصدر نفسه: 1 / 28.

(3) البيان والتبيين: 1 / 112.

وكذلك ما أشبهه من الحشو الذي لا طائل فيه، فيتعين على الخطيب اجتنابه، وأما الإعادة التي ذكرها فهي أن يعيد الكلمة أو الجملة مرتين لكي يتأتى له ما بعدها. وأما إذا كانت لقصد البيان والتوضيح والتوكيد، فهذه من محاسن الخطيب، وذلك أيضا من دلائل العلم، وهو من هدي النبي ﷺ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان «إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا»⁽¹⁾.

وأما الحبسة فهي أن يتعذر عليه الكلام عند إرادته، فيتوقف في أثناء خطبته عن الكلام هنيئة؛ فيجري كلامه متقطعا غير منسجم ولا متسلسل، وسيأتي الكلام عليها في عيوب الخطيب.

5- إعداد الخطبة: لا يخلو إلقاء الخطيب خطبته من أحد أمرين:

إمّا أن يلقي خطبته بعد تحضير وإعداد.

وإمّا ارتجالا على المجازفة والبدئية.

لكنّ الكلام الذي لا يعدُّ له قد لا يقيم حقاً، ولا يدفع باطلاً، ولا يقرب نفساً، ولا ينقّر من أمر، لا سيّما إذا كان الخطيب بين قوم فهم من يتسقط هفواته، ويتبّع سقطاته، ويحصيها عليه إحصاءً، فإعداد الخطيب خطبته أمانة اتقان، وعلامة إحسان في الخطيب، "ولا يتوهّم من متوهّم أنّ تحضير الخطبة مما يعيب مقدرته، فإنّ العيب أن يقول كلاما مبتذلا لا قيمة له، ومعناه تافه صغير، ولتكن له أسوة حسنة في كثير من الخطباء الأقدمين، والمحدثين؛ فإنّ كثيرين منهم مع قدرتهم التامة على الارتجال يأخذون للموقف الأهبة، ويعدّون له العدة"⁽²⁾.

وإعداد الخطيب أو المتكلم لخطبته، أو كلامه من عمل السلف رضي الله عنهم وأرضاهم، فعن عمر رضي الله عنه قال: "أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر الصديق.." ⁽³⁾.

(1) صحيح البخاري: 1 / 30 ، برقم: 95. باب: " مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ " .

(2) البيان والتبيين: 1 / 112 .

(3) صحيح البخاري: 8 / 168 ، برقم: 6830 .

فالأوجب على الخطيب أن يضع جلَّ همِّه وتفكيره في خطبة الجمعة، ويفرِّغ لها الوقت الطويل لإعدادها الإعداد المناسب، وينظر في حاجات الناس ومقتضى حالهم، كما كان يفعل النبيُّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ومن التقصير الكبير أن لا يُعدَّ الخطيب خطبته إلا في صبح الجمعة، أو قبلها بسويغات، والذي يفعل مثل هذا إن كان فعله له سبب يبيح ذلك له فالضرورة لها أحكامها، وأمَّا إن كان ديدنه ذلك، أو يقتلع إحدى الخطب من بعض الدواوين قبل الجمعة بزمن يسير دون النظر في ماهية الخطبة، أو مدى مناسبتها لوقتها، ثمَّ يلقيها على المستمعين من باب الأداء الوظيفي فحسب، أو من باب الكسل وقلة الاكتراث بأمور المسلمين وأحوالهم؛ فهذا مسيء إساءة بالغة؛ لأنَّه لم يهتمُّ بحمل الدعوة إلى الله تعالى، ولم يؤدِّها على وجهها الذي ينبغي، وإنَّما اتَّخذ المنبر عادة أو تكسُّباً. وإلى الله المشتكى⁽¹⁾.

6- الارتجال في الخطبة: الأصل في الخطابة عند العرب قبل الإسلام، ثمَّ في الإسلام إلى قرون قريبة قد خلت، إنَّما تكون بطريق الارتجال _ ونعني بالارتجال إلقاءها حفظاً، ومن الذاكرة من دون النظر في الصحيفة، حتى وإن كان أعددتها مسبقاً وحضَّر لها، وتمهياً -، وما شهرة من اشتهر منهم، كقُسيِّ بن ساعدة وعلي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم، وعبد الملك بن مروان رحمهما الله الذي شَيَّته المنابر وسحبان وائل وغيرهم - إلا من هذا الباب.

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الارتجال هو الأكمل في الخطابة وهو أصلها، وهو علامة الملكة والقدرة، وحاجة الخطيب بالجملة إلى الارتجال أمر لا شكَّ في استحسانه؛ إذ القدرة عليه من ألزم الصفات للخطيب الناجح، وما ذلك إلا لحاجته أحياناً إلى البديهة الحاضرة، والخاطر السريع، الذي يفرضه عليه واقع الأمر فيما يكن قد أعدَّ له من قبل، فعن إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، قال: خطب أبو جعفر المنصور، فحمد الله وأنثى عليه ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله. فقام إليه رجل من عرض الناس فقال: أذكرك الله الذي ذكَّرتنا به يا أمير المؤمنين. فأجابه أبو جعفر بلا فكرة ولا رويَّة:

(1) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 46 - 47.

سمعا وطاعة لمن ذكّر بالله، وأعوذ بالله أن أدكّر به وأنساه، فتأخذني العزّة بالإثم، لقد ضللتُ إذاً وما أنا من المهتدين، وأمّا أنت، فوالله ما الله أردت بها، ولكن ليقل: قال، فعوقب فصبر! وأهون بها لو كانت، وأنا أحذركم أيها الناس أختها؛ فإنّ الموعظة علينا نزلت، ومنا أخذت، ثمّ رجع إلى موضعه من الخطبة" (1).

فها هو المنصور حينما قدر على الارتجال استطاع أن يأتي بهذا النوع من الكلام المسكت، بخلاف الخطابة من الورق؛ لأنّها تُكتب وتُعدّ من قبل، ولا يزل عنها الخطيب قيد أنملة؛ فلم يكن فيها ما يدلُّ على الملكة الأنبيّة، بل إنّ بعض أهل العلم يجعلها نوعاً من المعاييب إلى عهد ليس بالبعيد، كما ذكر ذلك الشيخ علي محفوظ عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر (ت: 1361 هـ) رحمه الله تعالى.

بيد أنّ الأمور في هذا العصر قد اختلفت، فقد ضعفت اللغة لدى كثير من الناس، وقلّ الاعتياد على الارتجال في الخطب في كثير من الأصقاع حتى اختلفت أعراف الخطباء في ذلك، فصار كثير منهم لا يرتجلون إمّا رغبة منهم، أو من باب عدم القدرة، فشاع في كثير من البلاد الإسلاميّة الخطبة بالقراءة من الصحيفة.

ولكن لسائل أن يسأل أيهما أفضل؟ الارتجال، أم الخطبة بالقراءة من الورق؟ فالجواب: الارتجال هو فعل النبي ﷺ وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم، ومن جاء من بعدهم، فإنّ كان الخطيب ممّن لديه ملكة الارتجال، أو قوّة الاعداد والمراجعة، بحيث يجيد مخارج الحروف مع إعرابها خالية من اللحن والتلثم، والكلام المكرّر، ولم يكن ممّن يرتج عليه كثيراً بحيث تضيع هيبة الخطيب والخطبة، فإنّ الارتجال في حقّه أفضل وأكمل.

وأما إن كان غير ذلك، بحيث يخرج الخطيب عن الموضوع أو ينسى أو يزل أو يلحن، فإنّ الخطبة بالورق في حقّه هي الأفضل؛ لأنّها تكون أجود أداءً، وأكثر نفعاً، والأمر في ذلك واسع والحمد لله (2).

(1) العقد الفريد: 1 / 50 ، 4 / 186 ، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا: 1 / 310.

(2) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 81 – 83.

7- المِخْصَرَة: وهي بكسر الميم شَيْءٌ يأخذه الرَّجُلُ بِيَدِهِ لِيَتَوَكَّأَ عَلَيْهِ مِثْلَ الْعَصَا وَنَحْوِهَا، وَهُوَ أَيْضاً مِمَّا يأخذه الملك يشير به إِذَا خَطَبَ كَالْعَصَا وَالسُّوْطِ وَنَحْوَهُمَا (1)، وهي ممَّا تستحسنه العرب في الخُطابة، فيأخذها الخطيب بيده للإشارة، وخذ وجه الأرض بها أثناء الكلام (2)، قال لبيد بن ربيعة (3):

إذا اقتسم الناس فضل الفخار أطلنا على الأرض ميل العصا
وفي الإسلام قال كُثَيِّرُ عَزَّةَ (4):

إذا قرعوا المنابر ثم خطّوا بأطراف المخاصر كالغضاب

قال أبو الحسن العمراني: "وَيْسْتَحَبُّ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى عِزَّةٍ أَوْ قَوْسٍ أَوْ سَيْفٍ أَوْ عَصَى؛ لما روى الحكم بن حزن: «أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَدَ عَلَى قَوْسٍ فِي خُطْبَتِهِ»، ولأنه أسكن لجأشه" (5).

وإذا لم تستعمل المِخْصَرَة اليوم بهيئة العصا والقوس ونحوه، فربّما يقوم المنبر ونحوه مقام المِخْصَرَة، في بعض الأحيان؛ إذ بإمكان الخطيب مسك طرف المنبر، أو حافظه في الخطبة؛ فإنّ ذلك أوثق له، وأتمُّ لهيئته، وأعون له في خطبته، والمِخْصَرَة متممة للإشارة؛ لأنّ المِخْصَرَة ليست إلا صلة لليد التي بها تكون الإشارة.

وإن لم تتيسّر المِخْصَرَة للخطيب قبض إحدى يديه على الأخرى، أو أرسلهما، قال الإمام الشافعي رحمته الله: "فإن لم يكن معه شيء ... سَكَنَ نَفْسَهُ: إمَّا بَأَنْ يَضِعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ، أَوْ بَأَنْ يَرْسُلَ يَدَيْهِ سَاكِنَتَيْنِ، وَيَخْطُبُ.." (6).

وممَّا جاء في السنّة من استعمال المِخْصَرَة، حديث عليّ رضي الله عنه قال كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْعُرَاقِدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَتَكَسَّ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مِمَّا مِنْ نَفْسِ

(1) ينظر: لسان العرب، (مادة خصر): 4 / 242.

(2) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي: 2 / 577 - 578.

(3) ديوانه: 283. وينسب البيت أيضا للحطيئة.

(4) ديوانه: 281.

(5) البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسن العمراني: 2 / 577 - 578.

(6) البيان في مذهب الإمام الشافعي: 2 / 578.

منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتب شقية أو سعيدة» فقال رجل: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وتدع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة. قال: «أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة ثم قرأ: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَّ لَهُ لَهُ لَيْسَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَّ لَهُ لَهُ لَيْسَى *}»⁽¹⁾ ⁽²⁾.

ذكر الجاحظ ذلك، فقال: وبالناس حفظك الله أعظم الحاجة إلى أن يكون لكل جنس منهم سيما، ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها، وعند العرب العممة وأخذ المخصرة من السیما، وقد لا يلبس الخطيب الملحفة، ولا الجبة ولا القميص، ولا الرداء، والذي لا بد منه العممة والمخصرة، وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين طرفيه وربما قام فيهم وعليه عمامة وفي يده مخصرة⁽³⁾.

وإنما انتقص المخصرة ونقمها على العرب الشعوبيون، وعابوا هذا الفعل وقد فند الجاحظ هذا الرأي أشد التفنيد، مبينا أن عيهم المخصرة على العرب هو جريا على ما جبلوا تجاه العرب من الحسد والبغضاء.

والشعوبية: هم أناس من العجم يتعصبون للعجمية ضد العربية، وينقمون على العرب مفاخرهم وينكرون مآثرهم، وما لهم من الميزة في براءة المنطق وحسن البيان⁽⁴⁾.

(1) الليل: 5 - 10.

(2) متفق عليه: صحيح البخاري: 2/ 96، برقم: 1362، وصحيح مسلم: 4/ 2039، برقم: 2647.

(3) ينظر: البيان والتبيين: 3/ 63 - 64.

(4) ينظر: نفح الطيب في الخطابة والخطيب: 33 - 34.

المطلب الثاني: عيوب الخطيب:

تناولنا في المطلب السابق آداب الخطيب في نفسه، وكانت سبعة آداب، وستتناول في هذا المطلب إن شاء الله عيوب الخطيب:

لَمَّا كَانَتِ الْخَطَابَةُ فَنُّ قَوْلِيٍّ، وَأَسْلُوبٌ كَلَامِيٌّ وَرِسَالَةٌ شَفْوِيَّةٌ كَانَتْ مَبْنَاهَا وَرُوحُهَا وَقَوَامُهَا الْبَيَانُ وَالْإِيضَاحُ لِلَّذِينَ هُمَا رُوحُ الْفَصَاحَةِ، وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ كُلَّ مَا أُخِلَّ بِالْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانِ يُعَدُّ مِنْ أَشَدِّ عَيُوبِ الْخَطِيبِ، وَمِنْ ذَلِكَ:

1- تقليد الغير والتكلف في الكلام: على كلِّ خطيب أن يحذر تقليد غيره في العبارات، وفي أسلوب الخطاب، وعليه أن يلتزم الأدب العام للخطيب وللخطبة، ويتكلم على سجيته من غير تقليد ولا تكلف، فلكلِّ خطيب شخصيته وأسلوبه، ولكلِّ متكلم عبارات تستحسن منه، ولا تستحسن من غيره، ومن الخطباء من لا يحسن منهم الهزل ولا يليق بهم إلا الجدُّ، فلا يصحُّ أن يكون في كلامهم إلا ما هو مقبول منهم، ومن الخطباء من يحسن في خطبهم بعض المداعبات، بأن يكون ذلك منهم بقدر محدود؛ ليستروح به السامعون فيستجمعوا نشاطهم، ويبعد السامة والملل عنهم، وهكذا يجب على الخطيب أن يراعي في أسلوبه وعباراته أحوال السامعين، وما يقتضيه المقام، وما يحسن به وما لا يحسن⁽¹⁾.

2- الارتباك: وهو نوع من الرهبة والانفعال الممزوج بخجل أو تحرج واضطراب، وخوف يظهر على الخطيب أثناء الخطبة؛ فيأخذه الهير وهو ضيق النفس، والارتعاش والعرق، وهذا يكون أمراً طبيعياً في بداية ممارسته الخطابية، فلا لوم عليه ولا عيب، وإنما العيب فيه إذا بقي ملازماً له في كل خطبه، ولم ينفك عنه؛ لأنه يكون علامة على تردده وتحير، وعدم تمكنه من الخطابية.

3- اللجلجة: وهي التردد في الكلام، واللجلج، هو المتردد في كلامه، فيكتر الكلمة حتى يتأتى له النطق بها، كأن يقول: اسمع اسمع اسمع فيكترها بسرعة مرّات عدّة ليقول ما بعدها، واللجلجة يقابلها الدلاقة والطلاقة، يقال: لسان ذليق، وخطيب

(1) الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 132.

ذليق، ولسان طليق، كل ذلك إذا كان ذا حدّة وبلاغة وفصاحة، قال اللهي في ذمّ اللجلج (1):

ليس خطيب القوم باللجلج ولا الذي يزحل كالهلباج
ورب ييداء وليل داج هتكته بالنص والإدلاج

4- النحنحة: وهي كاللجلجة: بأن تلزمه نحنحة وسعلة أثناء كلامه، والنحناح من تعرض له النحنحة والسعلة، وذلك إذا انتفخ سحره، أي: رثته، فإنّ هذا أيضا نوع من اللجلجة والتردّد في الكلام، قال سحيم بن حفص (2):

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْإِهْمَالِ وَمِنْ كَلَالِ الْعَرَبِ فِي الْمَقَالِ
وَمِنْ خَطِيبِ دَائِمِ السُّعَالِ

5- التتممة: وهي ردّ الكلام إلى التاء والميم، فتراه إذا أراد أن يتكلّم قال: تتنتت، أو أمممم حتى تأتيه الكلمة.

وقيل: التتمام هو الذي تسبق كلمته الى حنكه الأعلى، ورجّح الأصمعي أنّ التمتان هو الذي يعجل في الكلام ولا يفهمك، فإذا تتأتأ اللسان في التاء فهو تتمام، وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء وفي ذلك يقول أبو الزحف:

لست بِفَأْفَاءٍ وَلَا تَنْتَانَةٍ وَلَا كَثِيرِ الْهَجْرِ فِي الْمَنَامِ

6- الفأفأة: وهي إكثار الفاء والتردد فيها في كلامه، فتراه يقول إذا أراد التحدّث: إفففف، أو فففف... إلخ. والكلام فيها كالكلام في التتممة، فكلاهما ممّا يخل بالفصاحة والبيان اللذين هما وسيلة الخطيب، وبهما قوام الخطبة.

7- اللثغة: وهو تحويل اللسان حرفا إلى حرف آخر، كتحويل اللسان من السين إلى الثاء، أو من الراء إلى الغين، ذكر الجاحظ: أنّ الحروف التي تدخلها اللثغة أربعة: هي القاف والسين واللام والراء. فاللثغة في السين أن يتحول إلى ثاء،

(1) ينظر: البيان والتبيين: 1 / 55. واللهي هو الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب فينسب إلى جدّ أبيه أبي لهب بن عبد المطلب. ويلقب بالأخضر اللهي. وأمّه آمنة بنت عباس بن عبد المطلب. ينظر: الأعلام لخير الدين الزركلي: 5/150.

(2) ينظر: البيان والتبيين: 1 / 56.

واللثغة في القاف هو أن يتحول القاف إلى طاء، واللثغة في اللام هي تحويلها إلى ياء، واللثغة في الراء هو تحويلها إلى غين.
واعلم أنّ اللثغة نوعان: لثغة خلقية فطرية، ولثغة ناشئة عن عجمة اللسان
ولكنته.

فأما اللثغة الخلقية الفطرية: فلا ملامة فيها على الخطيب وإن كانت تعاب في
الخطبة؛ لأنّها شيء مفروض عليه، ولا يمكنه رفعه، لكن ينبغي له أن يتفان في صروف
الكلام فيقلّل الحرف الذي يتعدّر عليه بإيراد كلمة مرادفة تخلو منه، ونحوه.
وأما اللثغة بسبب اللكنة والعجمة: فهذه تعاب على الخطيب وينبغي له تداركها؛
لأنّها طارئة على المتكلم بسبب عجمة في لسانه أو لكنة، كما هو ظاهر في كلام الأعاجم،
أو في كلام العرب الذين يترخّصون في اللكنة بسبب مخالطتهم العجم ردحا من الدهر،
فيقال: في لسانه لكنة إذا دخل بعض حروف العجم في حروف العرب.

8- الحبسة: وهي تعدّر الكلام عند إرادته، ويقال في لسان حبسه إذا كان الكلام يثقل
عليه، ولكنّه لم يبلغ حدّ الفأفاء والتمتام، فهذا أيضا من عيوب الخطيب؛ لأنّه يقف
أثناء خطبته، ويحبس عنه الكلام، فتكون خطبته متقطّعة كالثوب الممزّق، فتذهب
فائدتها، ويضيع تأثيرها.

9- الحكّل: وهو ضعيف الصوت الذي لا يُسمع صوته إذا تكلم، مأخوذ من الحكّل،
وهو صوت النمل. وهو يقابل جهورية الصوت، التي هي من محاسن الخطيب
كما تقدّم، يقال: تكلم كلام الحكّل، أي: كلاما لا يفهم، قال رؤبة بن العجاج:

لو أنّي أوتيتُ علمَ الحكّلِ علمَ سُلَيْمَانَ كَلَامَ النَّمْلِ

10- اللثف: وهو الذي إذا تكلم ملاً لسانه فمه، وكان بطيء الكلام، قال أبو عبيدة:
إذا أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألتف، وقيل بلسانه لتف.

11- الهذرمة: وهي العجلة والإسراع في الكلام حتى لا يكون مفهوما.

12- الشغى: وهو اختلاف نبتة الأسنان في الطول والقصر، والدخول والخروج،
والسنّ الشاغبة: هي الزائدة على الأسنان، ويقال لمن فيه ذلك: أشغى، ومنه
سُمّيَت العقاب بالشغواء؛ لأنّ منقارها الأعلى متدلّ على الأسفل، وعُدّ الشغى

من عيوب الخطيب؛ لأنّه يؤثّر في نطقه ويؤدّي إلى تداخل الكلمات وضياع بعضها.

13- الثرم، والدرد: وهو سقوط بعض الأسنان الأمامية، أو كلها، ولا سيما الثنايا، فهو معيب في الخطيب؛ لأنّ ذلك يؤدّي إلى اختلال الصوت، وقليّة الإفصاح في اللفظ، أو حدوث لثغة بتغير بعض الأصوات كالسين، والزاي، والصاد. وهذه العيوب التي تقدمت هي كلّ ما أخلّ بالفصاحة، وأدّى إلى اختلال الصوت الذي هو قوام الحروف، فكان وجودها معيبا بالخطيب.

المبحث الثالث

مقومات الخطابة ومحاذيرها

المطلب الأول: مقومات الخطابة:

للخطابة مقومات تمثل الروح والحياة لها، فهي بوجودها تحيي، وتنمو وتزهر وتثمر، وبفقدتها تضعف وتموت، نقل الجاحظ عن أبي داود ابن جرير قوله: " رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب، ومهاؤها تخير الألفاظ والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه" (1)، فهذه ستة أشياء هي مقومات الخطبة ومؤهلاتها: ثلاثة منها ضرورية، وثلاثة تكميلية جمالية.

فأما الضرورية، فلا تقوم الخطبة إلا بها، ولا يكون الشخص خطيباً ما لم يحصل عليها، فهي كالروح لها، وهي: الطبع والدربة ورواية الكلام:

1- الطبع: هو أهم المقومات الضرورية للخطبة؛ فهو لها بمثابة الرأس للجسد، فمن لم يكن له طبع في الخطابة لا يكون خطيباً وإن كان من أهل الفصاحة واللسن، كما أنّ من لم يكن له طبع في الشعر لا يكون شاعراً، وإن كان ذا بلاغة وبيان.

2- الدربة: وهي التمرين والممارسة مع شيء من الجرأة ورباطة النفس؛ فإنّ من كان ذا طبع في الخطابة وجب عليه للتبريز فيها أن يتدرب ويتمرن عليها ويمارس الإلقاء ليعود نفسه الوقوف في مواقفها، حتى يحصل له بذلك من القوة والجرأة في البيان ما يكون به خطيباً مفعّوها، وقد جعلها ابن جرير عمود الخطابة، وفي ذلك إشارة إلى أنّ الذي لم يكن في الخطابة ذا دربه كان طبعه في الخطابة غير مجد نفعاً؛ لأنّه يكون كمن له بيت، وليس له عمود يقوم عليه ذلك البيت، وقد قال الشاعر:

والبيت لا يُبتنى إلا له عمَدٌ ولا عمَدٌ إذا لم تُرسَ أوتادُ

3- رواية الكلام: والمقصود بها أن يكون الخطيب ذا حفظ ليس بالقليل من القرآن الكريم والسنة النبوية وأثار الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وأن تكون له معرفة بأخبار الناس وأنسابهم ونواديرهم وأحوالهم ومراتهم وبكل ما يحتاج إليه

(1) ينظر: البيان والتبيين: 1 / 59.

الخطيب في موقف خطابته بأن يكون غزير المادة؛ فإنه إذا لم تكن له مادّة يستمد منها في خطبته تعذر عليه أن يقف موقف الخطيب، حتى لو أنه كان ذو طبع ودربه في الخطابة؛ لأنّ رواية الكلام جناحي الخطابة؛ فمن لم يكن ذا رواية للكلام كان كطائر مقصوص الجناحين لا يستطيع النهوض ولا الطيران.

وهذه الأمور الثلاثة وهي الطبع والدربة ورواية الكلام ممّا لا بدّ منه للخطيب؛ لأنّها روح الخطابة، وبها تقوم.

وأما الثلاثة الأخرى:

فهي أمور تكميلية جمالية، وليست ضرورية، وهي: الإعراب، وتخير الألفاظ، والإشارة:

1- الإعراب: وهو في الخطبة حلية وزينة؛ فإذا وقع اللحن فيها سقطت تلك الحلية وذهبت تلك الزينة، لكنّ الزينة ليست شرطاً للحياة، بل هي شيء مكمل لها، فهي بدونها قائمة، ومن غيرها ظاهرة، لكنّ الزينة فيها تزيدها جمالا، وظهورا وبيانا.

2- تخير الألفاظ: هو الآخر من مكملات الخطبة، وزينتها، فاللفظ الجميل حُسنٌ وجمال للكلام عامّة ولا سيّما الخطبة، فاذا جاء الخطيب في خطبته بألفاظ مبتذلة فاحشة ذهب الحُسن من خطبته، ولم تكن لكلامه طلاوة، غير أنّ مصيبة الخطيب فاحش الألفاظ أعظم من مصيبة الخطيب اللحن؛ لأنّ اللحن مغتفر وإن كان معيبا، وأما الألفاظ القبيحة، والسوقية، وما كان من الألفاظ العامية فإنّ خطأه لا يقبل في الخطبة، ويعاب على صاحبه أشدّ من اللحن، وقد وقع الكثير من الخطباء الأولين به، ولكنّ الخطيب إذا ردّل ألفاظه وجاء بها غير متخيرة ولا منتقاه لم تعطه الأسماع مقادتها، ولم يكن لكلامه وقع كبير في النفوس، فيفوته الغرض من الخطابة، وليس كذلك الخطيب الذي يلحن في خطبته⁽¹⁾.

3- الإشارة: وهي تمثّل لغة الجسد، وهذا من أساليب البيان في الخطابة التي يحتاجها الخطيب، فيشير بيده، وبرأسه، ونحوهما في أثناء الخطبة؛ لما فيها من تنمة بيانه للسامعين؛ ولذلك كان من عادة العرب في خطبهم أنّ الخطيب منهم إذا تفاخر، أو

(1) ينظر: البيان والتبيين: 1/ 59.

تنافر، أو تشاجر رفع يده ووضعها؛ فأدّى كثيرا من مقاصده بحركات يده، وكان ذلك أعون له على غرضه، وأوهب للسامعين وأوجب ليقظتهم. أنواع الإشارات والحركات في الخطبة:

جرت العادة عند جميع الأمم على اختلاف ألسنتها أنّ المتكلم إذا تكلم احتاج في أثناء كلامه إلى الإشارة باليد، والغمز بالعين والجفن والحاجب، وإلى تحريك الرأس، وتحريك المنكبين، وإلى إحداث أوضاع في بدنه تناشد معاني كلامه، وهذا مشاهد من كل من تكلم من الناس ولا بدّ منه للمتكلم، ولولاه لضاعت أكثر دقائق الكلام من معانيه المقصودة، وكان الكلام المسموع من فم المتكلم كالكلام المقروء في كتاب، ولما بقي فرق بين من قام خطيبا وبين من أخذ بيده صحيفة وصار يقرأ ما فيها على السامعين، مع أنّ الفرق بينهما ظاهر لا ينكر، ولا شك أنّ غرض المتكلم إنّما وهو إيصال المعنى وإفهام السامعين، والإشارة تشارك اللفظ في الإفهام، بل قد تكون مستقلة في التفهيم كما نشاهد ذلك في كلام الخرس؛ فإنهم إنّما يتكلمون بالإشارة فقط، وبها يتمّ التفاهم بينهم وبين من أراد الكلام معهم؛ فالإشارة تنوب عن اللفظ في كلام الخرسان، وتكون في كلام غيرهم مساعدة للفظ، وموضحة للمعنى.

وذكر الجاحظ أنّ الإشارة واللفظ شريكان، فنعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وتغني عن الكتابة، وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة في أمور يسترها الناس ويخفونها من الجليس وغير الجليس، ولولا الإشارة لما يتفاهم الناس معنى خاصّ الخاصّ، ولجهلوا هذا الباب البتّة، فحسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدلالة والوضوح، وغير ذلك من الأمور.

ومما ينبغي التنبّه له أنّه ليس للإشارة من ضابط يضبط أنواعها تجاه المعاني، فلا يمكن تخصيص نوع من الإشارة بمعنى من المعاني، بل الإشارة على اختلاف أنواعها وتعدّد صورها مشاعة بين أنواع المعاني، وإنّما الأمر في استعمالها راجع إلى ذوق الخطيب، وعاداته وحذقه ولباقتة، فلكلّ خطيب عادة في الإشارة تخالف عادة غيره، ومن هنا يقع التفاضل بين الخطباء في كيفة استعمال الإشارة، فكلمّا أوقع الخطيب هذه الإشارة في مواقعها الملائمة لها من الكلام، وأبرزها بصور تناسب صور المعاني،

بحيث تكون متممة المعنى وكاشفة له كان ذلك الخطيب أحقُّ بأن يحرز قصب السبق في ميدانها، وأجدر أن يعدُّ المجلى في مضمارها، ومع ذلك نجد أنواعا من الإشارات شاعت بين الناس للتعبير عن معاني معينة نذكر منها:

أولا: إشارة اليد:

جرت العادة بإشارتها إلى معاني تعارف عليها الناس، وهي:

- 1- إشارة الماضي: إذا ذكر الزمن الماضي أشار بيده إلى خلف، بأن يرفع إحدى يديه نحو كتفه مبسوطه، أو مقبوضة دون الإبهام.
- 2- إشارة المستقبل: إذا ذكر المستقبل أشار بيده إلى الأمام، بأن يمدّها إلى الأمام مبسوطه باطنها إلى السماء، أو مقبوضة دون السبابة، وظاهرها إلى السماء.
- 3- إشارة الحاضر: إذا ذكر الزمن الحاضر أشار بيده مقبوضة دون السبابة إلى تحت نحو قدمه.
- 4- إشارة الاستفهام: إذا استفهم عن الزمان أو المكان، كأن يقول مثلا: متى جاءوا؟ وأين ذهبوا؟ مدّ يده مفتوحة الكفّ، وله أن يجعلها ساكنة، أو يحركها حركة خفيفة أفقية.
- 5- إشارة التعجب: إذا تعجب من شيء قلب كفيه أو أحدهما مفتوحا نحو السماء، و متموجة قليلا أصابعه.
- 6- إشارة الضرب بالسيف ونحوه: إذا ذكر المتكلم الضرب بالسيف عمل بيده حركة كحركة يد الضارب بالسيف، وإذا ذكر الطعن بالرمح كحركة يد الطاعن بالرمح.
- 7- إشارة الكتابة: إذا ذكر الكتابة بالقلم قبض أنامله كما يقبض الكاتب أنامله على القلم، وحرك يده كحركة يد الكاتب.
- 8- إشارة اللبس: إذا ذكر شيئا من لبس الثياب عمل بيده كأنه يلبس ثوبا.
- 9- إشارة الجمع: إذا أراد أن يعبر بصيغة الجمع والشمول، كأن يقول مثلا: الناس كلهم، أو جميعا، أو قاطبة، مدّ يديه ودار بهما من جهة اليمين إلى جهة الشمال، كأنه يصوّر بذلك الإحاطة والشمول.

ثانياً: إشارة الرأس:

جرت العادة بإشارته إلى معاني تعارف عليها الناس، وهي:

- 1- إشارة النفي: يراد النفي بالإشارة برفع الرأس قليلاً كقول: لا، أو بتحريك الرأس حركة يسيرة يمينا وشمالاً.
 - 2- إشارة الاثبات: يراد الاثبات بالإشارة بخفض الرأس قليلاً كقول: نعم، وله أن يكرّر الحركة مرتين.
 - 3- إشارة التعجب والاستهزاء، والاستخفاف: انغاض الرأس، أي: تحريكه، وربّما حرك مع الرأس منكبيه وجسمه إشارة على التعجب والاستهزاء، وقد ذكر الله تعالى ذلك في عن كفار العرب حيث قال: {وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَيْنَا مَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا* قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا* أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا⁽¹⁾، أي: فسيحركون رؤوسهم نحوك تعجباً واستهزاء.
 - 4- إشارة اللوم والزجر والتقريع والتهديد والترهيب: بأن يعبس المتكلم ويقطب بين عينيه.
 - 5- إشارة التأهيل والترحيب: بأن يجعل وجهه طلقاً بشوشاً، مصحوباً بابتسامة.
 - 6- إشارة عدم الاكتراث وعدم المبالاة: يكون برفع المنكبين وخفضهما.
- وليعلم أننا إنمّا أوردنا هذه الجملة من صور الإشارة على طريق المثال، وإلا فصور الإشارة كثيرة لا تحصى، والأمر فيها كما قلنا أنفاً راجع إلى ذوق المتكلم وعادته ومهارته كما لا يخفى.
- فلا يلزم الخطيب بجميع هذه الإشارات، ولا يشترط عليه الالتزام بها جميعاً في جميع حديثه، وإنما يختار أحسنها وأنسبها للمقام، والكلام، شأنها شأن اختيار الكلمات؛ لأنّها مرتبطة بها، فصارت كالتابعة لها في حسن الاختيار، وبراعة التوظيف.
- ولذلك يعاب على الخطيب إذا هو لم يحرك أطرافه: لا يده ولا رأسه ولا منكبيه ولا عينيه في خطبته، ومن ذلك أن أبا شمر كان إذا خطب لم يحرك يده ولا منكبيه ولم

(1) الإسراء: 49 - 51.

يقلب عينيه ولم يحرك رأسه حتى كان كلامه كأنما يخرج من صدع صخرة، وتمسك شبر بهذه الهيئة مع أنها ضعف في الخطابة؛ لأن أصحابه كانوا يستمعون منه، ويسلمون له، ويميلون إليه، ويقبلون كل ما يورده عليهم ويثبته عندهم، فلما طال عليه توقيهم له وترك مجاذبتهم إياه، وخفت مؤونة الكلام عليه- نسي حال منازعة الأكفاء ومجاذبة الخصوم، وكان شيخا وقورا، وزميتا ركيئا، وكان ذا تصرف في العلم، ومذكورا بالفهم والحلم، حتى كلمه إبراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر، فاضطره بالحجة، وبالزيادة في المسألة، حتى حرّك يديه وحل حبوته، وحبا إليه حتى أخذ بيديه. وفي ذلك اليوم انتقل أيوب من قول أبي شمر بعدم الإشارة في الخطبة إلى قول إبراهيم بالإشارة بتحريك اليد والرأس والمنكب⁽¹⁾.

ومن بديع ما جاء في الخطبة بالإشارة أن مصعب بن الزبير لما قدم العراق صعد المنبر فتلى قوله تعالى: {طسّم * تَلَكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مَوْسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ *}⁽²⁾، وأشار بيده نحو الشام.

{وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ*}⁽³⁾، وأشار بيده نحو الحجاز.

{وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ*}⁽⁴⁾، وأشار بيده نحو العراق.

فكان لخطبته هذه وقع عظيم في النفوس، مع أنه لم يأت فيها بشيء من اللفظ سوى أنه قرأ القرآن، وأشار بيده اثناء قراءته.

1 البيان والتبيين: 1 / 94.

2 القصص: 1 - 4.

3 القصص: 5.

4 القصص: 6.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

ومن هذا القبيل ما ذكره من خطبة يزيد بن المقفع وذلك أنّ معاوية رضي الله عنه أراد أن يأخذ من الناس البيعة لابنه يزيد، فلما اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قوم الكراهة قام رجل من بني عذرة، يقال له: يزيد بن المقفع، فاخترط من سيفه شبرا، ثم قال: " أمير المؤمنين - وأشار بيده إلى معاوية - " فإن مات، فهذا - وأشار بيده إلى يزيد - فمن أبي فهذا - وأشار بيده إلى سيفه - ". فقال له معاوية رضي الله عنه: أنت سيد الخطباء ⁽¹⁾.

(1) ينظر: البيان والتبيين: 1 / 94 - 95.

المطلب الثاني: محاذير الخطابة:

من سلك طريق الخطابة كان عرضة للوقوع في محاذير عدة، ومن أهم هذه

المحاذير:

1- حبُّ الشهرة: من محاذير الخطابة حبُّ الشهرة، فالخطيب يشتهر بين الناس، ويذكر اسمه، وينقل كلامه في المجالس، فعلى الخطيب أن يحذر طلب هذا الشيء وأن لا يطلبه، ولا يسعى إليه، ولا يحبُّه، لأنَّ باب الشهرة باب غامض، ومرض كامن، وخطره عظيم، كما قال سفيان الثوري رحمه الله: " إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مَمَّنَّ يَجِبُ أَنْ يُعْمَلَ بِقَوْلِهِ، أَوْ يُنْشَرَّ قَوْلُهُ، أَوْ يُسْمَعُ قَوْلُهُ، وَإِيَّاكَ وَحِبَّ الشَّهْرَةِ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ حُبُّ الشَّهْرَةِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَهُوَ بَابٌ غَامِضٌ لَا يَبْصُرُهُ إِلَّا الْبَصِيرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ السَّمَّاسِرَةِ "، فعلى طالب النجاة أن يحذر ذلك أشد الحذر ويراقب نفسه ويحاسبها، وأن لا ينشغل إلا برضا الله وطاعته (1)، ويربِّي نفسه على الخفاء والنقاء والنفرة من الشهرة، ففي هذا فضل عظيم وهو نيل محبة الله تعالى، فعن عامرُ بنُ سعدٍ، قَالَ: كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي إِبِلِهِ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ عُمَرُ، فَلَمَّا رَأَاهُ سَعْدٌ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الرَّكِيبِ، فَتَزَلَّ فَقَالَ لَهُ: أَنْزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ، وَتَرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ: اسْكُتْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيِّ، الْخَفِيَّ» (2)، فما أحرى الخطيب، والداعية على أن يربوا أنفسهم على هذا التواضع والابتعاد عن الشهرة، فيسلموا ويغنموا، ويبارك لهم في عملهم.

2- العُجب: الوعظ والتوجيه والقصص ونحو ذلك ممَّا يقال على المنابر أو غيرها يعدُّ ولا شك من مظانِّ الزلل وحصول العجب أو الرياء والسمعة، فتجد بعض الخطباء يبدأ مسيرة الخطابة بداية متواضعة، وربَّما حقَّر فيها نفسه، ولكن ما إنْ تقف قدماه على منبر الخطباء النجباء الذين يأخذون بقلوب الناس قبل أسماعهم إلا

(1) المصدر نفسه: 29 - 31.

(2) صحيح مسلم: 4 / 2277، برقم: 2965.

وتبقى نفسه عرضة للانزلاق في مهاوي العُجب، الذي يحمله على الاعتداد برأيه دون غيره، وربما تحول من داعية إلى الله إلى داعية إلى نفسه؛ فيقع فريسة للأخطاء ومجانبة الصواب، لاسيما في الأمور المعضلة التي تنزل بالمجتمع حيناً بعد آخر، ونقل ابن عبد البر عن أحد السلف قوله: "الإعجاب آفة الأحاب"، ونقل عن آخر قوله: "من أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زلَّ"⁽¹⁾.

ولو ترك المرء لنفسه مجالاً في إتباع الهوى والإعجاب بنفسه لأفسد في الناس، ولو وجد لإفساده أتباعاً من جنسه وأشياءاً قلوا أو كثروا.

والأدلة من الكتاب والسنة في ذمّ العجب كثيرة، وكذلك آثار السلف رضي الله عنهم وأرضاهم، وإنّ أحسن ما يُداوى به المعجب نفسه هو أن ينظر إلى من فوقه علماً وتواضعاً من سلفنا الصالح وعلمائنا الكرام ممّن قال الله عنهم: {نَزَفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}⁽²⁾.

3- الغرور وعدم التواضع للحقّ: ربّما يكون هذا غريباً؛ إذ إنّ غاية الخطابة دعوة الناس إلى قبول الحقّ، فكيف تكون سبباً للغرور وعدم قبوله للخطيب نفسه!! ولكنّ هذا أمر واقع، ومزلق خطير ينبغي للخطيب أن يحذره أشدّ الحذر، فمن اعتاد أن يخطب في الناس ولا يخاطب، وينصح ولا ينصح، ويؤدّب ولا يؤدّب، ويربّي ولا يربّي، ويُعلم ولا يُعلم.. فلا بدّ للآفات أن تداهم قلبه، وتفسد عقله، وتلتهم أجزاءً من صلاحه، حتى يصاب بالغرور، ويصير امثال الحقّ أشقّ شيءٍ عليه، بل ربّما صار هو جزءاً من حالة التشغيب والفتنة في الناس، وسبيل الوقاية من ذلك: الموازنة بين السماع والإسماع، وطول التهجد، وهضم النفس ومحاسبتها وتزكيتها وإرغامها على قبول النصيحة في أيّ ثوبٍ خرجت، ومن أيّ شخصٍ كانت.

4- التماس الخطيب رضا الناس: إنّ طلب الخطيب لرضا الناس أو التماسه، أو موافقة النفس في التطلّع إليه أو الميل له ممّا ينبغي للخطيب أن يحذره أشدّ

(1) جامع بيان العلم وفضله: 1 / 142.

(2) يوسف: 76.

الحذر، فهو مدخل خطير من مداخل الشيطان، لاسيّما إذا كان الخطيب ممّن يتجمهر حوله الناس ويكثر محبوه، فالخطيب المشهور تعتريه غالباً حالتان: الأولى: أن يرضي جمهوره بخطبة فيها نوع من القوّة في النقد والإثارة حتى ولو كان حقّاً ولكن دون رويّة أو حكمة وسياسة، أو نظر في المقاصد والغايات، أو في حسن التوقيت، أو في الراجح من المصالح والمفاسد، أو في المندوحة عن الزج بالنفس في مثل هذا.

الأخرى: أن يرضي طرفاً آخر غير الجمهور ممّن هو مخالف لهم، أو ليست له حظوة عندهم، أو بينه وبينهم من النفرة ما يدعوه إلى قول مثل ذلك. وكلاهما خطأ فادح إذ لا يخرجان عن التماس رضا الناس قبل رضا الله سبحانه وتعالى وهذا خطأ وقد ورد النهي عنه، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنهم، وأرضى الناس عنه، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»⁽¹⁾. وهذا فيما إذا أرضى الناس بأمر خاطئ، أما إذا أرضى أحد الطرفين بأمر صواب وكان من أمور العبادة وهو يقصد إرضاءهم بذلك، ويكون هذا الإرضاء هو المنشئ لهذا الأمر، فيخشى أن يكون من باب الرياء وهو الشرك الخفيّ الذي خافه النبي صلى الله عليه وآله على أمّته.

فهذا مظنة الزلل للخطيب، والمفضي إلى الوقوع في مغبّة الإثم، إذ على الخطيب أن يقول الحقّ لوجه الله لا ينظر فيه إلى رغبة جمهور، ولا إلى رغبة سلطان، ولا غيره، كما قال الله تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا}⁽²⁾.

فواجب الخطيب هو الحرص على رضا الله وحده، لا على رضا الناس، ولا ينبغي له أن يتزلف إلى أحد، ولا أن يجعل الخطبة وسيلة إلى الدنيا، وسبباً لقبول عند أهلها

(1) حديث صحيح - صحيح ابن حبان: 1 / 247 ، برقم 267. وصححه الألباني، ينظر: صحيح

الترغيب والترهيب: 2 / 271 ، رقم: 2250

(2) الأحزاب: 39.

(1) ، وكم من مواقف حصل فيها خلاف مراد من التمس رضا الناس بسخط الله تعالى، فالحذر الحذر من الغفلة عن رضا الله جلَّ وعلا، وليتيقن العبد أنَّ رضا الناس لا يغني عنه شيئاً.

5- عدم الشعور بالمسؤولية: يتغافل بعض الخطباء عن وقوفه على منبر رسول الله ﷺ، وينسى أنه يتكلم بلسان الشرع، وأنَّ عليه أن يبين حكم الله فقط، لا آراءه الشخصية، وخطرات ذهنه (2) ، فالواجب عليه أن يكون همُّه هو إقامة شعائر الله، وتبليغ الدين، والدعوة إلى التمسُّك بالعقيدة الصحيحة، والشريعة السمحة، وإحياء السنَّة، وإماتة البدعة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإزالته أو تقليله، عملاً بقول الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} (3).

وقال النبي ﷺ: «بَلَّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» (4) ، وقوله ﷺ: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالِي فَبَلَّغَهَا، فَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ غَيْرَ فَقِيهِ، وَرَبَّ حَامِلٍ فَفَقِهَ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»، زَادَ فِيهِ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ [من شيوخ ابن ماجه]، «ثَلَاثٌ لَا يُغْلُ عَلَيْنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلزُومُ جَمَاعَتِهِمْ» (5).

وقال رسول الله صلى الله عليه وعلى وآله وسلم: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْجِبَتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى

(1) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 24 - 28 ، وفصول إسلامية: 89.

(2) ينظر: فصول إسلامية: 89.

(3) آل عمران: 187.

(4) صحيح البخاري: 4 / 170 ، برقم: 3461 .

(5) حديث صحيح - سنن ابن ماجه: 1 / 84 ، برقم: 230 . والحديث عند أبي داود والترمذي دون زيادة علي بن محمد. وحسنه الترمذي، وصححه الألباني.

الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»⁽¹⁾.

وكون العلماء ورثة الأنبياء وأن ميراث النبوة هو العلم فهذا يوجب على العالم وطالب العلم والخطيب والداعية الشعور بمسؤولية عظيمة، ألا وهي حمل ميراث النبوة، وحفظ الدين وتبليغه والذود عنه، فمن استشعر هذه المسؤولية، وطلب من الله العون والتوفيق والسداد، فهو الموقَّق بإذن الله، ومن غفل عنها فهو إلى إصلاح نفسه أحوج بالوعظ والنصح منه وأولى من غيره من الناس، والله در القائل⁽²⁾:

أَمَا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَتَامُ لَمَا خَلَقُوا لَمَا هَجَعُوا وَنَامُوا
لَقَدْ خَلَقُوا لِأَمْرٍ لَوْ رَأَتْهُ عُيُونُ قُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا
مَمَاتَ ثَمَّ قَبْرَ ثَمَّ حَشَرَ وَتَوَبَّخَ وَأَهْوَالَ عِظَامُ
لِيَوْمِ الْحَشْرِ قَدْ عَمِلْتَ رَجَالُ فَصَلُوا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
وَنَحْنُ إِذَا أَمَرْنَا أَوْ نَهَيْنَا كَأَهْلِ الْكَهْفِ أَيْقَازُ نِيَامُ

فما أحوج الخطيب إلى شعوره بالمسؤولية العظيمة التي تحمّلها، وحرصها على أدائها على أكمل وجه يمكنه..

6- الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة والموضوعة⁽³⁾: وهذه آفة الآفات، ومنبت البدع والضلالات، فما نشأت البدع، ولا أميتت السنن، ولا غُيِّرَت معالم الدين بمثل الأحاديث الضعيفة والموضوعة، فما تجد صاحب ضلال إلا وتمسك بأحاديث موضوعة، وضعيفة يستدلُّ بها على باطله، حتى رَوَّج القبوريون لأحاديث موضوعة باطله فيها الأمر بعبادة القبور، ودعاءها من دون الله، ومن أعظم أسباب انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة هم الخطباء الذين لا يبالون بذلك، ويوردون أيَّ كلام عرض لهم وينسبونه إلى النبي ﷺ من غير تثبُّت ولا رويّة، والحقُّ الذي أجمع

(1) حديث صحيح - مسند الإمام أحمد: 5 / 196 ، برقم: 21763 ، وسنن أبي داود: 3 / 317 ، برقم:

3641 ، وسنن ابن ماجه: 1 / 81 ، برقم: 223 ، وصحَّحه الألباني رحمه الله.

(2) الكبائر للذهبي: 133.

(3) ينظر: فصول إسلامية: 89.

عليه الأئمة أنه لا يجوز لأحد أن ينسب حديثاً إلى رسول ﷺ حتى يتوثق من صحته، فليتنبه الخطباء إلى هذا، فإنه من أهم المهمات، إذ لا سبيل لنا للنجاح والفوز إلا بالتصفية والتربية، أي: تصفية الدين من البدع والخرافات، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وتربية الأئمة على الدين الحق النقي المصفي، وهذه هي حقيقة دعوتنا المباركة الدعوة السلفية.

وليعلم الخطباء أنهم على ثغر عظيم من ثغور الإسلام، فلا يؤتى الدين من قبلهم، وهم غافلون، أو يحسبون أنهم يحسنون صنعا بالتغاضي عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة، أو التساهل في إيرادها، ففي تهاونهم وتساهلهم جناية عظيمة على الدين، وفتح باب الشر والضلال، وفتنة الناس في دينهم.

7- سلوك طريق القصاصين: يسلك بعض الخطباء طريق القصاص في خطبهم، والقصاصون هم الذين ينصب همهم بسرد القصص، وامتناع المستمعين وتسليتهم، من غير وعظ حقيقي، ولا علم محقق، وقد كان السلف رضي الله عنهم يهون عن مجالسة القصاص، ويحذرون منهم، ويضربون أبناءهم على ذلك، ويعدونه من البدع، فعن مجاهد قال: "دَخَلَ قَاصٌ فَجَلَسَ قَرِيبًا مِنْ ابْنِ عُمَرَ، فَقَالَ لَهُ: "قُمْ، فَأَبَى أَنْ يَقُومَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ شُرْطِيًّا فَأَقَامَهُ"⁽¹⁾.

وقال ابن وضاح القرطبي في القصاص: "لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَبِيئُوا فِي الْمَسَاجِدِ، وَلَا يُتْرَكُوا أَنْ يَبِيئُوا فِيهَا"⁽²⁾.

وعن الضحاك قال: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ "يَسْجُنُ الْقَصَّاصَ وَمَنْ يَجْلِسُ إِلَيْهِمْ"⁽³⁾.

ومن مظاهر القصاص في خطبهم أنها تتحوّل إلى سرد قصصي، أو نشرة أخبار، أو صحيفة من الصحف يقرأ منها الخطيب فهذا هو طريق القصاصين، وهو مخالف لهدي النبي ﷺ في خطبه، فإن "روح الخطبة هو الموعدة الحسنة من قرآن أو غيره،

(1) البدع والنهي عنها: 49 – 50.

(2) المصدر نفسه: 50.

(3) المصدر نفسه: 48.

وكان رسول الله ﷺ يأتي في خطبته بالحمد لله تعالى والصلاة على رسوله ﷺ بالشهادتين بسورة كاملة والمقصود الموعدة بالقرآن وإيراد ما يمكن من زواجره وذلك لا يختص بسورة كاملة" (1).

قال الخطابي: "وقد قيل: إن المتكلمين على الناس ثلاثة أصناف: مذكّر وواعظ وقاصّ. فالمذكّر: الذي يذكّر الناس آلاء الله ومنته ونعماءه، ويبعثهم به على الشكر له. والواعظ: يخوفهم بالله وينذرهم عقوبته فيردعهم به عن المعاصي. والقاصّ: وهو الذي يروي لهم أخبار الماضين ويسرد عليهم القصص فلا يأمن أن يزيد فيها أو ينقص والمذكّر والواعظ مأمون عليهما هذا المعنى" (2).

تنبيه: ينبغي العلم بأنّ القصص ثلاثة أنواع نوع واحد هو المرفوض، واثنان مقبولان، وهذه الأنواع هي:

1- حق يجب الأخذ به وهي القصص القرآني، والقصص النبويّ الثابت بالسند الصحيح أو الحسن، فهذه وحى من الله وشأنها شأن الأدلّة الأخرى التي تذكر في الخطبة ويستشهد بها، وهي ضروريّة في الخطب، وفيها أحكام ومواعظ وعبر وأمثال لا غنى للخطيب ولا لغيره عنها، وهي لا تدخل في قصص القصّاصين، بل هي من الوحي الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وأمرنا بالإيمان به واتباعه.

2- قصص جائزة: وهي مواقف من الواقع أو من التاريخ يعتبر بها، فربّما احتاج الخطيب إلى الاستئناس بها أحياناً، فهي من الجائز المباح، ولكن لا ينبغي أن تكون ديدن للخطيب ويطرقها في كلّ خطبة، وإنّما يستجاز منها القليل النادر ممّا فيه فائدة كبيرة، وتكون له حاجة قويّة، ولا تكون في كلّ الخطب، بل خطب قليلة جداً، فهي كالمالح في الطعام، إذا كثرت أفسدت الخطابة..

3- قصص منكرة وباطلة، وهي القصص المكذوبة والتي تحتوي على مبالغات مستهجنة ومجازفات مرفوضة، فيجب اجتنابها، وعدم التطرّق لها إلا ما كان على سبيل التحذير منها، وهي ما نعنيه هنا بطريق القصّاصين، أي: ما كانت مختلفة

(1) الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة: 95 - 96.

(2) معالم السنن = شرح سنن أبي داود: 72/4.

موضوعة، أو بلا سند، وما لا أصل لها، فهي كلام يراد به تسلية الناس، وإثارة دهشتهم، فينطلق فيه القصَّاص بلا خطاب ولا زمام، ومعظمها من قصص كان وكان، وكليمة ودمنة، وألف ليلة وليلة، وحكايات العجائز، فهذه هي المستنكرة، وما يجب على الخطيب أن يتره خطبته عنه.

8- التسرُّع في إطلاق الأحكام: ومن مظاهر التسرُّع أن يذكر الخطيب أحكاما غير محقَّقة، ولا مسلمة عند أهل العلم، فيفتي بها على المنبر، ويأمر الناس بها؛ فيحدث إرباكا، ويثير جدلا ولغطا، وربما يوقع الخطيب نفسه في تناقض، ولو اقتصر على المسائل المتفق عليها فأمر بها العامة، وترك الخلافات لمجالس العلماء لكان أحسن (1).

9- التفصيلات الفقهية: ممَّا يُعَاب على بعض الخطباء خوضهم أثناء الخطبة في تفصيلات فقهية، وتفريعات وخلافات بين أصحاب المذاهب ممَّا يوقع المستمعين في اللبس والغموض، لأنَّ مثل هذه الأمور يكون مجالها الدروس العلمية، وليس في خطبة الجمعة؛ لأنَّ من يحضرها ليسوا كلهم من طلبة العلم، بل كثير منهم من عامة الناس، أو ممَّن دراستهم في علوم أخرى غير الشريعة (2).
نصيحة لمن اراد الخطابة ولم يعد لها عدتها:

أختم هذا الفصل بهذه النصيحة لمن أراد سلوك طريق الخطابة، فمن أراد تعلُّم الخطابة فلا بدَّ أن يتعلَّم العلوم الشرعية قبل أن يبدأ الخطابة. وليعلم أنَّ الخطابة ليست موضوع رغبة أو اندفاع، فيجعل خطابته على أوقات الفراغ، فهذا غير صحيح إطلاقا؛ لأنَّها الخطابة عبادة، فمن يدخل في مضمارها، ويسلك سبيلها، عليه أن يترك كل ما يتعارض معها، أو يُشغِل عنها، فتكون الخطابة هي واجبه وعمله، فيجعل حياته كلها مسخرة لهذا العمل، فإنَّ من يبغى أن يعلم الناس الدين وسنن سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وينصح الناس، والناس به تقتدي، فلا يمكن له مع هذا كله أن يجعل واحب الخطبة على الفراغ، أو على هامش الحياة..

(1) الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 13.

(2) ينظر: منبر الجمعة أمانة ومسؤولية: 34.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

والأمر الآخر الذي لا بد منه هو الصدق، الصدق مع الله ثم الصدق مع النفس ثم الصدق مع الناس، فإذا لم يكن الخطيب صادقا مع الله فخطبته تكون عبثا وتكون عليه إثم، وهو يفسد فيها ولا يصلح، وأن يكون صادقا مع نفسه في إخلاص نيته وغايته لله، والتزامه في مواعيده وفي كلامه وفي مواقفه، فيكون صريحا ويواجه الأمور كما هي من غير أن يحيد عن الحقيقة، أو يختلق الأعذار والأحداث، والصدق مع الناس في الموعد وفي الكلام وفي المعلومة ولا يتعامل إلا بالصدق، لأنَّ أهمَّ رصيد للخطيب حتى ينجح هو سمعته فلا بدَّ أن يبقيا بيضاء نقية كالثوب الأبيض. وبغير هذه الأشياء لا يكون الشخص خطيبا ولا يحصل على شيء غير التعب ومذمة الناس، يحاول أن يتباهى ويكسب ثناء الناس فيحصل له عكس المراد وإنَّ خطب بضعة خطب فيفضح نفسه أمام الناس ويكون مثار سخرية أو رفض ويترك بعدها الخطابة.

فاعلم وفقك الله أنَّ طريق الدعوة والخطابة هو دعوة النبي ﷺ ومن يسلكه إمَّا أن يكون صادقا مع الله ثم مع نفسه، ومع الناس ويجعل الخطبة من أهم أولوياته، أو أنَّه من أول الطريق لا يكلِّف نفسه ولا يتعبها؛ لأنه كما تقدَّم لن يحصل على شيء غير التعب ومذمة الناس وسخريتهم منه وافتضاحه أمامهم. هذه نصائح أرجو أن يقرأها جيدا من يريد أن يكون خطيبا، وأنَّ يتمعَّن فيها، ويجعلها نصب عينيه، لعلَّ الله ينفعه بها، وجزاكم الله خيرا..

تم الفصل الأول ويليه إن شاء الله الفصل الثاني "الخطبة وآدابها".

الفصل الثاني

الخطبة وأدائها

نتناول في هذا الفصل بإذن الله تعالى ما ينبغي أن تكون عليه الخطبة، ومعرفة مزاياها، وعيوبها، وأنواعها؛ لتكون خطبا نافعة هادفة تقدّم للمجتمع زادا روحياً وثقافياً، وتبتعد عن التلکؤ، والتكرار، والترتابة، التي تصيب المستمعين بالسآمة والملل، مما يذهب بالفائدة الشرعيّة المرجوة من الخطبة، كما كانت في السابق:

المبحث الأول

الخطبة

ليست الخطبة كلاما متناثرا، أو عبارات مكررة بغلب عليه الصياح، ولا يعرف لها أول من آخر، بل هي جنس أدبيّ، وفنّ كلاميّ، له أجزاءه ومكوّناته، والروابط بينها، ولذا فإننا سنتناول في مطالب هذا المبحث بإذن الله تعالى أجزاء الخطبة، وأدائها وطرق إلقائها:

المطلب الأول: أجزاء الخطبة

للخطبة أجزاء وفقرات تتألف منها ومن الأهمية بمكان معرفة متعلم الخطابة بهذه الأجزاء سنوضح هذه الأجزاء، وفيما يأتي توضيح لهذه الأجزاء:

1- المقدمة: وهي القسم الأول من الخطبة، وتتكون المقدمة من جزأين، هما:
1- الافتتاح ويكون بحمد لله تعالى، والثناء عليه، والتشهاد، والصلاة والسلام على النبي ﷺ، والوصيّة بالتقوى، ثمّ قول: أمّا بعد. ويذهب الجمهور إلى استحباب الحمد في الخطبة، ويذهب الشافعيّة إلى وجوبه.

والأفضل هو خطبة الحاجة، التي كان رسول الله ﷺ يفتتح بها خطبه، ويعلمها لأصحابه رضي الله عنهم⁽¹⁾، والتي كان السلف الصالح يقدمونها بين يدي دروسهم وكتيبهم ومختلف شؤونهم⁽²⁾.

(1) ينظر: خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه: 4.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 8.

ولا ننسى أنّ خير الهدى هدي محمد ﷺ، كما قال عليه الصلاة والسلام: «فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ» (1)

إلا أنّه لا يكون التزامها على الدوام، حتّى لا يُظنَّ أنّها واجبة، بل يقول الخطيب غيرها أحيانا.

2- الاستهلال، والاستهلال لغةً: هو البداية أو الابتداء، مأخوذ من هلال الشهر، وهو أوله.

وفي الاصطلاح: هو الجزء الأول من الكلام الذي يقدم فيه المتكلم جملة من الألفاظ والعبارات يشير بها إشارة لطيفة إلى موضوع الكلام وكيفية التدرج فيه، ويقصد بذلك جذب الانتباه لدى جمهور السامعين، وهو أيضاً الجزء التمهيدي قبل المضي إلى الغرض نفسه (2).

أنواع الاستهلال: يكون الاستهلال في الخطب على نوعين:

الأول: ذكر جملة من الآيات والأحاديث التي تدلُّ على الموضوع..

الأخر: ذكر مقدمات يقينية على الموضوع..

ولا بأس من ادخال الاستهلال مع الحمد والثناء؛ أحيانا حتى لا يلتزم خطبة الحاجة التزام الواجب وهي مستحبة، فيصيغ عبارات الحمد والثناء بما يكون استهلالا لموضوع الخطبة..

وفي النوعين ينبغي أن يراعى فيه شدّة انتباه السامعين، وجذب تركيزهم، وربطهم مع الموضوع، وهو ما يسمى بالعصف الذهني في طرائق التدريس، فعن جابر ﷺ: عن النبي ﷺ: «أنه كان إذا خطب: يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول على إثر ذلك، وقد علا صوته، واشتد غضبه، حتّى كأنه منذر جيش يقول: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ»

(1) متفق عليه: صحيح البخاري: 8 / 25 ، 9 / 92 ، برقم: 6098 ، 7277 ، وصحيح مسلم: 2 / 592 ، برقم: 867 . واللفظ لمسلم.

(2) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه - كامل المهندس، مكتبة بيروت- لبنان، ط2 ، عام: 1984 م: 2.

، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ» ثُمَّ يَقُولُ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ»⁽¹⁾.

ومن الجودة بمكان أن يكون استهلال الخطبة دليل على مضمونها، فكما أن خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قافيته، فكذلك جيد الخطب هو ما دلَّ استهلاله على محتواه.

وممَّا ينبغي مراعاته في الاستهلال: التفريق بين استهلالات الخطب بحسب أنواعها، فيفرق بين استهلال خطبة النكاح، واستهلال خطبة العيد، وخطبة الصلح، وخطبة المواهب، حتى يكون لكلٍ فنٍّ من ذلك استهلال يدل على مضمونه، فإنه لا خير في كلام لا يدل على مراد صاحبه ولا يشير إلى مغزاه، وإلى العمود الذي إليه قصد، والغرض الذي إليه نزع⁽²⁾.

2- الإثبات: وهو موضوع الخطبة، وما يريد الخطيب إيصاله للمستمعين، من تذكير، أو تحذير، أو ترغيب، أو ترهيب، أو مدح، أو ذم، ونحو ذلك، ويراعى فيه:

- 1- وحدة الموضوع.
- 2- وعدم التشتت.
- 3- وسهولة اللفظ.
- 4- ووضوح المعنى.
- 5- وتجنب الإسهاب الممل، والاختصار المخل، فإن اضطرت الخطيب فينبغي أن يكون الإكثار في غير حطل، والإطالة في غير إملال.

3- الفقرة الأخيرة، وهي آخر ما يكون من الإثبات، وتكون فقرة مختصرة، جامعة شاملة للموضوع، متناولة لبَّه وخلاصته؛ فتكون كالنتيجة فيه، والثمرة المستفادة منه، وتكون فقرات الإثبات السابقة لها دالَّة عليها ومؤدِّية لها، ويراعى فيها أن تكون

(1) صحيح مسلم: 2 / 592 ، برقم: 867.

(2) البيان والتبيين: 1 / 114.

ذات صدى كبير، وتأثير شديد؛ لأنها آخر ما يعلق بأذهان المستمعين، فإذا روعي فيها ذلك، يكون حسن تخلص في الموضوع، وهو ممّا يستجاد في الكلام.

4- الخاتمة، وهي آخر كلام في الخطبة، ويكون فيه إبلاغ المستمعين بانتهاء الخطبة، بقول: أقول هذا، أو أقول ما تسمعون، أو قلت ما سمعتم، ونحو ذلك، ثم يدعو لنفسه والمستمعين بجملة واحدة، ويوصيهم بالدعاء، أو يقول: وصلى الله وسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ونحو ذلك ممّا يدل على انتهاء الخطبة.

وفي الخطبة الثانية تكون الخاتمة إمّا إبلاغ المستمعين بانتهاء الخطبة، أو بالدعاء، أو بما يتناسب مع الموضوع والمقام، مع مراعاة عدم التزام عبارة معيّنة واحدة، فلم يثبت بالسنة التزام عبارة في ختم الخطبة..

المطلب الثاني: طرق تحضير الخطبة:

طرق تحضير الخطبة كثيرة متعدّدة بحسب أحول الخطباء ومقدرتهم،

والموضوعات التي يلقونها، وسنتناول أهم هذه الطرق، وأشهرها:

1- القراءة من الصحيفة، وتكون وفق الخطوات الآتية:

1- يكتب الخطبة كاملة في صحيفة (قرطاس).

2- أن يقرأ ما كتبه قراءة جيدة قبل إلقائه.

3- ثمّ يلقيها بالقراءة من الصحيفة التي كتبها فيها.

وينبغي لمن سلك هذه الطريقة سواء أكان خطيباً أم محاضراً أن يلقي بعض المحاضرات أو الخطب من غير المكتوب؛ ليكون في ذلك تجديد في الإلقاء، وعليه أن يكون في قراءته مشرفاً على السامعين بنظره وقتاً بعد آخر؛ لتتصل روحه بأرواحهم، وليعرف أحوالهم، ويتيسر له هذا بالقراءة الجيدة المكررة قبل الإلقاء؛ لأنّ هذا يمكنه من الإلقاء من أن ينظر في الصحيفة عند قوله، ويشرف به على السامعين، وهكذا يفعل في كل أجزاء الخطبة⁽¹⁾.

2- الكتابة والحفظ التامّ، وتكون وفق الخطوات الآتية:

1- يكتب الخطبة ويحسن تعبيرها.

2- ثمّ يحفظها حفظاً تامّاً.

3- ثمّ يلقيها كما حفظها.

وهذه الطريقة هي أساس في تعلم لخطابة ونشأة الخطيب، فلا يكون خطيباً من لا يكتب خطبته، فالإلقاء في هذه الطريقة هو إلقاء لما حفظ، والخطباء في هذا قسمان: قسم يخرج عما حفظ بإضافة فقرة، أو دليل، أو كلام إن وجد المقام يدفعه إلى ذلك، فيخرج، ثم يرجع إلى ما حفظ، ولكن القوام في هذه الطريقة هو الحفظ لما كتب. وقسم آخر لا يخرج عما كتبه وحفظه، بل يلقيها كما حفظها، وهذه الطريقة يتبعها أكثر الخطباء الجدد والمتوسطون⁽²⁾.

(1) ينظر: الخطابة – أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 141.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 141.

- 3- الكتابة والإلقاء المرتجل، وتكون وفق الخطوات الآتية:
- 1- يكتب الخطبة ويتحرى في الكتابة أبلغ الأساليب التي توصله إلى غايته، وتؤدي به إلى ما يريد، ويحكم معانيها ويحملها كل ما يبتغي من وسائل التأثير، وطرق الإقناع التي يصوبها نحو هدفه، ويرمي بها إلى غرضه.
 - 2- ثمّ بعد الكتابة يقرأ ما كتب مرارا، وينقحه في كل مرة، وبهذه الطريقة التي تحرى بها جودة الإلقاء وحسن النطق.
 - 3- ومن خلال تكرار القراءة ستعلق معاني الخطبة مرتبة الترتيب التام في ذاكرته ويحفظ كثيرا من ألفاظها وعباراتها⁽¹⁾، فيلقمها بجدارة تامّة، كالمرتجل.
 - 4- طريقة كتابة رؤوس الأقلام، وهي كالطريقة السابقة تقوم على:
 - 1- دراسة الموضوع، وتبيئة معاني الخطبة وترتيبها ترتيبا محكما في ذهنه.
 - 2- ثم كتابة عناصرها وأجزائها في مذكرة على شكل رؤوس أقلام، يرجع إليها في الخطبة؛ لتكون مرجعا له ضابطا، وليحفظ المعاني والأفكار من أن تضعيع أو تتفلت من الذاكرة.وفي الأخذ بهذه الطريقة مزايا كثيرة؛ لما فيها من ضبط للأفكار، وجمع للخواطر، وإحكاما للمعاني، وهي كالطريقة السابقة لا يتجه إليها إلا الخطباء الذين مروا على القول، وعرفوا مقالته، ومواضيع التأثير فيه، وأصبحت لهم طرق خاصة في الإلقاء يتجهون إليها من غير قصد، بل بمقتضى الإلف والاعتياد، وتمتاز هذا الطريق عن سابقها بأنها:
 - 1- تفيد ضعيف الذاكرة. ولا يحتاج إليها كثيرا قوي الذاكرة؛ لأنّه لا يحتاج إلى كتابة العناصر، وربطها وتقييدها في القرطاس؛ فهي في وعيه وخاطره.
 - 2- تحسن الذاكرة إذا كانت الخطبة طويلة، فتعمل جمعا لأشتاتها، ولكي لا يقع في التكرار الممل⁽²⁾.
 - 5- التحضير الشفويّ، ويكون وفق الخطوات الآتية:

(1) ينظر: المصدر نفسه: 140 - 141.

(2) ينظر: الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 140.

- 1- الاطلاع على الموضوع ودراسته بعناية.
- 2- ثم إلقاءه مع نفسه بصوت مرتفع في غرفة قد انفرد فيها، أو في مكان خال، أو يلقيه على بعض الناس، تهيئة للإلقاء على المستمعين.
- 3- ثمَّ إلقاء الخطبة على المستمعين على وفق ما ألقاه مع نفسه، أو على ما يشبهه.

وهذه الطريقة يعمد إليها من يريد أن يربي في نفسه طريقة إلقاء خاصة، يتمرن عليها حتى تصير له ملكة وعادة وهي طريقة جيدة لمن تمكَّن في الخطبة؟ وقطع فيها شوطا ليس بالقليل⁽¹⁾، فيكون رتَّب فقرات الخطبة وأجزاءها في ذهنه، وعند إلقائها مع نفسه تكون طبعت في ذاكرته؛ فيلقمها وهو ومجيد لها، وتمكَّن من موضوعها.

6- التنسيق الذهني بعد القراءة الشاملة، وتكون وفق الخطوات الآتية:

- 1- الإلمام بالموضوع ودراسته دراسة تامَّة.
- 2- ثمَّ جمع عناصره في خاطره، وترتيبها بينه وبين نفسه، ويستحضر الألفاظ اللائقة بالمقام، والعبارات الجديرة بالموضوع.
- 3- ثمَّ إلقاء الخطبة على المستمعين على وفق ما ثبت في ذهنه من هذا الجمع والترتيب. وهذه طريقة لا يتبعها إلا الخطيب المتمكَّن، والمتمرن الجيد، فغالب هؤلاء يعدُّون الخطبة بقراءة شاملة للموضوع، ويلقها ارتجالا، أي بدون تقييد، وكتابة، والأصل في الارتجال أن تقال الخطبة على البداهة من غير أي تحضير مسبق للموضوع. وإنَّما كانت خطب العرب في السابق على هذه الشاكلة، فقد جاء في يوم السقيفة قول عمر رضي الله عنه: "أردت أن أتكلم وكنت قد زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر الصديق.." ⁽²⁾، وهذا يدلُّ على أنَّ إعدادهم للخطبة وتحضيرها إنَّما كان في الجنان، وفي النفس من غير كتابة ولا تقييد ويدل كذلك على أنَّ هذا يعدُّ من التحضير والاستعداد وليس من الارتجال ⁽³⁾.

(1) ينظر: المصدر نفسه: 140.

(2) صحيح البخاري: 8 / 168، برقم: 6830.

(3) ينظر: الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 139 - 140.

المطلب الثالث: الإلقاء الخطابي:

للخطبة أساليب خاصة بها، منها الضرورية، ومنها ما تكون الحاجة إليها قويّة لشدّة تأثيرها، وكبير وقعها، ومن هذه الأساليب:

1- التنوع في فنون القول، بأن ينوّع الخطيب في طريقة كلامه بتعابير متنوعة، فينتقل من التقرير إلى التعجب، إلى التهكم إلى النفي، وهكذا، ولا يلتزم تعبيرا واحدا؛ حتى يكسب كلامه حدة، ولكي لا يذهب نشاط السامعين، ويعتريهم السأم والملل، وذلك لا يكون إلا في حال تكرار المعاني، والتكرار له أثر كبير في تثبيت الأفكار، وإيقاظ المشاعر، وتقرير الحقائق، وحمل النفس على الاطمئنان إليها، فيقرره بتعابير مختلفة، واللغة العربية ثرية بالألفاظ، متشعبة الأساليب بما يمدُّ المتكلم وخاصة الخطيب بما يحتاج إليه من فنون القول وأنواع التعبير⁽¹⁾، فيتنقّل بين هذه الأساليب والتعابير، ولا يلتزم أسلوبا واحدا في جميع خطبته فيمِلّ السامعين.

2- معرفة الفصل والوصل، وذلك لاختيار المقاطع التي يقف عليها، بحيث يقف الخطيب عند نهاية جزء تام من المعنى الذي يريده، وبأن يكون المقطع ذا رنين قوي يملأ النفس ويوجهها نحو الغرض الذي يريد، قال أبو العباس السفاح لكتابه: "قف عند مقاطع الكلام وحدوده؛ وإيّاك أن تخلط المرعيّ بالهمل". وقال الأحنف بن قيس: "ما رأيت رجلا تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام، ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص رضي الله عنه، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام، وأعطى حقّ المقام، وغاص في استخراج المعنى بالطف مخرج؛ حتى كان يقف عند المقطع وقوفا يحول بينه وبين تبعته من الألفاظ، وكان كثيرا ما ينشد:

إذا ما بدا فوق المنابر قائلا أصاب بما يومي إليه المقاتلا⁽²⁾

(1) الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 131.

(2) الصناعتين: الكتابة والشعر: 438.

ومن هنا نجد أنّ مقاطع الكلام غرض يطلبه المجيدون من البلغاء والخطباء؛ لأنّه يجعل المعنى لدى السامع واضحاً، وصدى الصوت مؤثراً، والوقوف جميلاً، ويجمّل الإلقاء أبلغ تجميل⁽¹⁾.

3- البيان في الخطابة: إنّ مدار الخطبة على البيان والتفاضل الذي يجري في الخطابة هو التفاضل الجاري في البيان..

والبيان: هو كل شيء يكشف المعنى، أو يزيل الغموض عنه، ويوضح الأمر كائناً ما كان، ومن أيّ جنس كان؛ لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هي الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع.

وللعرب سنن وأمثال وأبنية، ومواضع كلام تدل عندهم على معانيهم وإرادتهم، ولتلك الألفاظ مواضع أخرى، ولها حينئذ دلالات أخرى، فمن لم يعرفها جهل تفسير الكتاب والسنة والشاهد والمثل، فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس هو من أهل هذا الشأن هلك وأهلك؛ لذلك وجب على الخطيب الاعتناء بالبيان في خطبته، وذلك بـ:

1- تخيير أجزل المعاني، فـ "ليست البلاغة بخفة اللسان، ولا كثرة الهديان، ولكن بإصابة المعنى والقصد إلى الحاجة، وإنّ أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروي المجدّع ولا البدوي المعرّب"⁽²⁾، أي: لم يكن من عبارات أهل المدن والحواضر التي يقتطع جزءاً منها، ولا من كلام أهل البادية الأقحاح لشدة فصاحته وجهل الكثيرين به، ومما جاء في التقصير في اختيار أجزل المعاني وأقواها: استعمل سيدنا معاوية رضي الله عنه رجلاً من كلب فذكر يوماً المجوس وعنده الناس، فقال: "لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم، والله لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أُمي". فبلغ ذلك معاوية رضي الله عنه فقال: "قاتله الله أترونه لو زادوه على مائة ألف فعل! فعزله"⁽³⁾.

(1) الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 134.

(2) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: 222.

(3) البيان والتبيين: 2 / 179، وينظر: عيون الأخبار: 2 / 54.

2- انتخاب أحسن الألفاظ، فليست الألفاظ برتبة واحدة، ولا بصدى واحد، بل هي متفاوتة مختلفة، قَالَ المحدث المعروف ابن حبان (ت: 354هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: " الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر، والزبرجد الأخضر، والياقوت الأحمر، إلا أن بعضه أفضل من بعض، ومنه ما يكون مثل الخزف، والحجر والتراب، والمدر، وأحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل العلم لكثرة قراءتهم الأحاديث وخوضهم في أنواع العلوم " (1). وهنا تأتي براعة المتكلم في انتخاب الألفاظ والتأليف فيما بينها؛ ليكون داعية ناجحا، ومعلما نافعا، وخطيبا مفوها بارعا.

4- الانسجام بين الكلمات، بحيث تتحصّر الكلمات على اللسان بيسر وسهولة، ويحسن وقعها في الأسماع، فلا تكون واحدة منها نائية عن أخواتها، أو ساكنة في غير مستقرها؛ فتكون قلقة في النطق، ثقيلة على السمع (2)، بل يكون " نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة " لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه؛ وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها؛ والغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك حكم الموضوع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلا على الرأس، وتارة يجعل قلادة في العنق، وتارة يجعل شنفا في الأذن، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه " (3)، وتنوع الأسلوب يكون بتنوع المقامات، وباختلاف أحوال السامعين، وبمراعات سنّ الخطيب، ومنصبه، وعمله، وما يليق به قوله، وما لا يليق، لأن لكل موضوع أسلوبه، فموضوع الحماس والتهديد تناسبه الفخامة، والعبارة الضخمة، وموضوع التأبين وإظهار الألم والأسى تناسبه العبارات السهلة الرقيقة المؤثرة (4)، وذلك تحصيلا لغرضه، ونبلا لمقصده؛ فإنّ الألفاظ الرائعة، والمعاني الجزلة لها أكبر الأثر في النفوس، وهي أسرع ولوجا في القلوب؛

(1) المصدر نفسه: 223.

(2) الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 132.

(3) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 1 / 149.

(4) الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 132.

ولذلك لما جاءَ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»⁽¹⁾.

والأذان للكلام البليغ أصغى وأوعى منها إلى غيره، والترغيب في العاجل والترهيب في الآجل اللذان هما من أهم مقاصد الخطابة ومطالبا العالية، إن لم يكونا بعبارات تخلو بالقلوب وتأخذ بمجامعها فلا تأثير فيهما ولا فائدة منهما.

5- السجع المعتدل، يستحسن في الخطبة أن يُجَمَّل الكلام في بعض الأحوال بسجع قليل، غير مُتَكَلَّف، قصير الفقرات؛ فإنه حلية وزينة في الكلام، وإنما رفضه الناس، ونفرت منه الأسماع بسبب التكلُّف، والمبالغة إلى حدِّ ممقوت، وهذا ما جعل الأدباء في عصرنا يميلون إلى الاسترسال، ويتعدون عن السجع، وأما ما كان منه في حدِّ الاعتدال، وجاء عفوا فهو مقبول، ولم يعترض عليه أحد⁽²⁾، قال ابن الأثير: "ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حادة طنانة رنانة، لا غثة ولا باردة، وأعني بقولي غثة باردة أنّ صاحبها يصرف نظره إلى السجع نفسه من غير نظر إلى مفردات الألفاظ المسجوعة، وما يشترط لها من الحسن، ولا إلى تركيبها وما يشترط له من الحسن، وهو في الذي يأتي به من الألفاظ المسجوعة كمن ينقش أثوابا من الكرسف⁽³⁾، أو ينظم عقدا من الخزف الملوّن، وهذا مقام تزلّ عنه الأقدام، ولا يستطيعه إلا الواحد من أرباب هذا الفن بعد الواحد، ومن أجل ذلك كان أربابه قليلا، فإذا صَفِيَ الكلام المسجوع من الغثاثة والبرد فإن وراء ذلك مطلوباً آخر، وهو أن يكون اللفظ فيه تابعا للمعنى، لا أن يكون المعنى فيه تابعا للفظ؛ فإنه يجيء عند ذلك كظاهر ممّوه، على باطن مشوّه، ويكون مثله كغمد من ذهب، على نصل من خشب"⁽⁴⁾.

والخلاصة:

(1) صحيح البخاري: 7 / 19، برقم: 5146.

(2) الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 132 - 133.

(3) الكُرسُفُ: القُطن. وَهُوَ الكُرسُوف، وَاحِدَتُهُ كُرسُفَةٌ، وَمِنْهُ كُرسُف الدَّوَاةِ. ينظر: لسان العرب،

مادة (كرسف): 9 / 297.

(4) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 1 / 197 - 198.

إذا كان الكلام فيه شيء من السجع غير متكلف، وجمله قليلة، فهذا شيء مستحسن؛ لأنه يضيف إلى الكلام جمالية، ويسهل حفظه على السامعين، ويقوي تأثيره فيهم، بشرط أن لا يكون السجع مطلوباً لنفسه، ولا يكون متكلفاً ومبحوثاً عنه، وإنما يأتي عفواً، وعلى شاكلة الكلام، تابعاً غير متبوع، مثال ذلك، قولنا: " الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين "، فهذه جُمَلٌ فيها سجع غير متكلف، وهي جميلة ومقبولة؛ لخلوها من الحشو والتكلف.

وأما السجع المتكلف، فهو ما تجده متشدّد فيه كأنما ينظم قصيدة، فيلتزمه في الكلام، أو الخطبة كلها، وربما أتى فيه بجملة، أو سطر كامل ليس لفائدة إلا ليأتي بسجعة، فهذا هو السجع المذموم؛ لكثرة ما فيه من حشو وتكلف، ومن أمثله قول السيوطي رحمه الله في مقدّمة حاشيته على تفسير البيضاوي المسماة "نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار"، إذ قال: "سبحان الله وبحمده منزل الكتاب تبصرة وذكرى لأولي الألباب، آتيا من أساليب البلاغة بالعجب العُجاب، راقيا من ذرى الفصاحة مرقى لا يجال ولا يجاب، معجزة للنبي الهاد، سيد من ركب الجواد، وأهدى من سلك الجواد، وأفصح من نطق بالضاد، المبعوث بالمنهل العذب لِيَرْوِيَ كل صادٍ، ويهدي كل صاد، المؤيد بالمعجزات التي لا يحصيها عدُّ عادٍ، المخصوص باستمرار معجزته إلى يوم التناد، وبقراءة كتابه في الجنان باللسان العربي المستجاد، المؤتى جوامع الكلم بالإيجاد، لتقوم أمته إلى قيام الساعة بالاستنباط والاجتهاد.

صلوات الله عليه وسلامه ما حدا حادٍ، وشدا شادٍ، وبدا باد، وعدا عادٍ، وما غدا أو راح رائج وغاد، وعلى آله الأمجاد وأصحابه الأنجاد" (1).

وللقارئ أن ينظر كم من كلمة زائدة لا فائدة منها، ولا عائدة إلا المشاكلة السجعية مع باقي العبارات، فظهر الكلام متكلفاً، وفيه زيادات، وحشو الكلام في غنى عنها، حتى في عنوان الكتاب نفسه، وإلا فما دخل النواهد والأبيكار بالكتاب وموضوعه، وهو حاشية على أحد التفاسير !!

(1) نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي: 1 / 1.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

إلا أنّ العذر للإمام السيوطي رحمه الله في ذلك أنّ هذا كان شائعا في عصره،
مألوفاً لمعظم المصنفين، فربما كتبه إلّفا، وجريا على العادة، أو مجاراة لأبناء عصره..
وأما في عصرنا، ومثل حالنا، وفي الخطابة خاصّة، فإنّه يتعيّن على الخطيب أن
يبتعد عنه، وأن يترقّع عن إيرادهِ في خطبته؛ لأنّه ثقيل مستهجن؛ لما فيه من التكلف،
والحشو، والزيادات، ويكتفي منه بما يأتي عفوا من غير تكلف، ولا إفراط، ولا إكثار.

المبحث الثاني

آداب الخطبة وعيوبها

سنتناول في هذا المبحث أهمَّ الآداب التي ينبغي على الخطيب التزامها في خطبته، وأهمَّ الأخطاء التي يجب تجنُّبها في الخطبة؛ لتكون خطبة ناجحة ونافعة مؤثرة، وذات قيمة علمية وأدبية، وفي ما يأتي توضيح لهذه الآداب والعيوب:

المطلب الأول: آداب الخطبة

من آداب الخطبة التي يتعيَّن على الخطيب التزامها في خطبته:

- 1- تلخيص المعاني؛ فإنَّ تلخيصها رفق بالسامعين، ودفع للملل عنهم، وترغيبهم في الاستماع والتلقي.
- 2- السلاسة والسهولة في الكلام: فخير الخطب ما كان الكلام فيها سهلاً مسترسلاً، مألوفاً لا تكلف فيه، ولا تعقيد.
- 3- الوحدة الموضوعية: يحسُن أن يكون لخطبة الجمعة موضوع واحد واضح غير مُتَشَعِّب الأطراف ولا متعدد القضايا فتستمدُّ الخطبة قوتها وتأثيرها من الوحدة الموضوعية، وتحافظ على إبقاء فائدتها، وتؤثِّر في السلوك، وتكشف حكمة الشرع⁽¹⁾؛ فإن الخطيب الذي يخوض في أحاديث كثيرة يُشَتَّت الأذهان وينتقل بالسامعين في أودية تتخللها فجوات نفسية وفكرية بعيدة، ومهما كانت عبارته بليغة، ومهما كان مسترسلاً متدفقاً فإنه لن ينجح في تكوين صورة عقلية واضحة الملامح لتعاليم الإسلام، والوضوح أساس لا بُدَّ منه في التربية، والتعميمُ والغموض لا ينتميان بشيء طائل، وخطبة الجمعة ليست درساً نظرياً بقدر ما هي حقيقة تُسْرَح وتُغْرَس⁽²⁾.
- 4- التسلسل الموضوعي لعناصر الخطبة: تقدِّم في التمهيد تعريف الخطبة بأنها: "مقدِّمات يقينية أو شبه يقينية تؤدي إلى نتائج مقبولة"، وتقدِّم في أقسام الخطبة أتمها: "تتكوَّن من أجزاء"، فينبغي تسلسل هذه المقدمات والأجزاء

(1) ذكر ذلك الشيخ سليمان الرحيلي في تغريدة على تويتر.

(2) مائة سؤال عن الإسلام، فضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي: 378.

تسلسلا موضوعيًا منطقيًا مقبولًا، بأن يُسَلِّمَ أحدها إلى الآخر، كما تُسَلِّمَ درجةُ السُّلْمِ إلى ما بعدها دون عناء، حتَّى إذا انتهى الخطيب من خطبته كان المستمعون قد وصلوا معه إلى النتيجة التي يريد بلوغها، وعليه أن ينتقي من النصوص والآثار ما يُمهِّد إلى هذه الغاية⁽¹⁾.

5- التزام الصحة في النقل والأخبار: لمَّا كانت الخطبة الدينية تُنَسَّجُ من المعاني الإسلامية المُستَمَدَّة من الكتاب والسنة، وأثار السلف الصالح فإنَّ لُحْمَتَهَا وَسَدَاهَا يجب أن يكونا من الحقائق المقبولة، وفي آيات القرآن الكريم، ومعالم السنة المطهرة مُتَّسَعٌ يُغني في الوعظ والإرشاد؛ ولذلك لا يليق البتة أن تتضمن الخطبةُ الأخبارَ الواهية، فضلًا عن الموضوعة، وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة مجال رَحْبٍ للخطيب الفاهم، وفي سيرة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين والأئمة المتبوعين ما يُغني عن الأساطير والأوهام⁽²⁾.

6- بيان الحق والحفاظ على الجماعة: فلا يجوز أن تتعرض الخطبة لما يثير الخلاف لقصد الخلاف، والتعصب لوجهة نظر ما، بل الواجب بيان الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، ودعوة الناس إليه برفق ولين، ورحمة، وحكمة؛ وعدم التشدد فيما يسع فيه الخلاف، أو فيه قولان لأهل السنة والجماعة، فيبين أنَّ الحق هذا ومن ترجح عنده القول الآخر، فهو مأجور بحسب اجتهاده، ولا ينبغي أن يكون التباين في المسائل الاجتهادية مثارًا للخلاف والفرقة، وقد شَقِيَ المسلمون بالفرقة أيامًا طويلة، وجدير بهم أن يجدوا في المساجد ما يُوجِّد الصفوف ويطفئ الخصومات.

(1) ينظر: مائة سؤال عن الإسلام، فضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي: 379.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 379.

المطلب الثاني: عيوب الخطبة:

من عيوب الخطبة، والتي هي عيوب متأتية من تصرف الخطيب في خطبته ما يأتي:

1- الإطالة والإسهاب: انتشر بين كثير من الخطباء إطالة الخطب، وإسهابهم في الكلام حتى لتزيد الخطبة الواحدة أحياناً على نصف ساعة، وربما بلغت ساعة بتمامها، وهذا إضرار بالسامعين، وإحراج لهم، وإملا ل لهم، وهو خلاف السنة، فالسنة تقصير الخطبة، وإطالة الصلاة، فأفضل الخطباء وخيرهم الفطن الذي لا يقل ولا يمل⁽¹⁾، ومن أهم دواعي الإسهاب والإطالة هو محاولة استيعاب الخطبة للموضوع: فيخطئ بعض الخطباء الفهم حينما يظنون أنّ الخطبة يمكن أن تستوعب جميع عناصر الموضوع الذي يراد طرحه، فتجدهم يطيلون الخطبة إطالة فاحشة من أجل استيعاب الموضوع من جميع جوانبه، وهذا أمر متعذر، وهو ليس بصحيح؛ لأنه يوقع في سلبيات متعددة منها:

1- الإكثار من حشو الأدلة والنقاط المتعلقة بالموضوع بحيث ينسي آخرها أولها.

2- عدم معرفة المراد من الموضوع، وهو التذكير والعظة، وهذا يحصل بدون إطالة، بل يكفي التركيز على أساسيات الموضوع مع الاقتصار على جزء من الأدلة، وجزء من الأسباب، وجزء من العلاج، وبعض النقول التي تغني عن غيرها مع عدم لزوم الاستيعاب؛ لأنّه كما قيل: الحرُّ تكفيه الإشارة، ولئن يقول المستمعون: ليته لم يسكت خير من أن يقولوا ليته سكت⁽²⁾.

2- تشتت الموضوع: بأن تكون الخطبة مجتمعة، وتجمع في الوقت نفسه مواضيع كثيرة، قليلة الفائدة، مشتتة للأذهان، قلّ أن تلمس فيها مواضع الداء⁽³⁾، فلا تجد للخطبة موضوعاً واحداً، ولا يتناول أمراً معيّنًا، بل يخوض الخطيب في كل شيء،

(1) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 51 - 52.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 48 ، 80 .

(3) المصدر نفسه: 49.

ويخرج المستمعون ولا يكادون عرفوا شيئاً؛ فحالُه كحال الطيب الذي يحث الناس على قواعد الصحة العامة مع سردِها مفصلة، ثمَّ لا يشجِّص داء، ولا يصف دواء⁽¹⁾، والعجب من خطيب لا يفهم المستمعون مراده، ولا يدركون مراميه، فتجد كلَّ فقرة موضوع مستقلّ مخالف للآخر؛ فيخرج الناس من الخطبة وهم في حيرة من أمرهم، ويتساءلون: ماذا يريد الخطيب من خطبته⁽²⁾، قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: "ومن عيوبها: أنه ليس للخطبة موضوع واحد معين، بل تجد الخطيب يخوض في الخطبة الواحدة في كل شيء، ينتقل من موضوع إلى موضوع، فلا يوفي موضوعاً منها حقَّه من البحث، فإذا جاء الجمعة الثانية عاد إلى مثل ما كان منه في الجمعة الأولى، فتكون الخطب كلها متشابهة متماثلة، ولا يخرج السامع له بنتيجة عملية، ولو أنّ الخطيب اقتصر على موضوع واحد جلاً أو دقاً، كبر أو صغر، فتكلم فيه ولم يجاوزه إلى غيره، لكان لخطبته معنى، ولأخذ السامع منها عبرة، وحصل منها فائدة"⁽³⁾.

والتشتت في موضوع الخطبة ينبئ في الغالب عن:

1- سوء الإعداد

2- ضعف الأداء.

وهذان أمران يفقدان الخطبة أهميَّتها، ويضيعان ثمرتها وفائدتها؛ لأنَّ الثمرة العائدة من خطبة الجمعة هي دعوة الناس للهدى ودين الحق، وإحياء الفضيلة وإماتة ضدها، وهذا سيتبدّد ويضيع في الموضوعات العامّة، والخطب المجملّة؛ لأنَّ المستمعين من كلّ أصناف المجتمع، وفيهم من كلّ داء، وهذا يتطلّب الكلام على موضوع يأخذ حقَّه من الطرح مصحوباً بالأسباب والعلاج، وهو أنفع للناس وأبلغ في التأكيد؛ لاسيما في هذه الأزمنة التي كلَّت فيها الأنفس، وقصرت فيها الهمم، فمن أراد العظة البليغة والقولة المؤثرة فليعمد إلى المنكرات

(1) المصدر نفسه: 49.

(2) ذكر ذلك الشيخ سليمان الرحيلي في تغريدة على تويتر.

(3) فصول إسلامية: 87.

المتفشية، لاسيما ما كان فيها قريب العهد بالناس، أو المصالح التي يغفل عنها كثير من الناس، ثم يبين هذه الوقائع مقدماً أكبرها مصلحة، أو أشرها ضرراً، وأسوأها أثراً، فيجعله محور خطبته وموضع عظته⁽¹⁾، وهذا أمر معلوم من فعل النبي ﷺ، فقد قال ابن القيم رحمه الله واصفاً خطبة النبي ﷺ: "وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته، فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضاً عليها"⁽²⁾.

وقال أيضاً: "وكان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المخاطبين ومصالحهم"⁽³⁾.

فعلى الخطيب أن: "يجعل الخطبة متصدية لعيب واحد لا تعدوه؛ لأنه لو تعرض لعدة عيوب لضعف التأثير، وما استطاع أن يصل إلى مرماه. ولذا يؤخذ على بعض خطباء المساجد أنهم في كل خطبة من خطبهم ينهون عن المعاصي جملة واحدة، أو يحصونها إحصاء، ويكررون ذلك في كل جمعة - والعاصي في غيه يعمه، وهو عنهم وعن وعظهم لاهٍ - ولو خصصوا خطبهم بدل أن يعمموا لأجدى كلامهم، ولأفاد وعظهم، ولوصلوا إلى بعض ما يريدون، أو نصبوا له"⁽⁴⁾.

3- التكلف في الكلام والإلقاء: وهو أمر مذموم، ومن أشهر مظاهر التكلف:

1- التشدق: وهو تكلف الفصاحة بأن يتكلم كالأشدق، وليس هو بأشدق، قد ذم النبي ﷺ المتشدين، وحذر من التشدق..

والتشدد من غير أهل البادية مرفوض وتبغضه الأسماع وتنفر منه الطباع؛ لأن أهل البادية الأوائل كانت الفصاحة سليقة لهم، وإذا تكلموا لم يتكلفوا، بل تكلموا بما هو مألوف عندهم؛ لذلك يقبل منهم، أمّا من غرهم فهو مذموم؛ لأنه تكلف،

(1) الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 49.

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد: 1 / 413.

(3) المصدر نفسه: 1 / 182.

(4) الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 207، وينظر: فصول إسلامية: 87.

والتكُّف يفقد الخطبة أهميَّتها؛ لأنَّ الخطيب سينشغل عن البيان والإفهام إلى تكُّف الفصاحة الزائدة عما هو مألوف ومقبول.

2- التقرُّ: وهو أن يخرج كلامه من أقصى الفمِّ، أي: من الحلق، والأمر فيه كالتشدد، إلا أنَّه مذموم من الجميع سواء كان من العرب الأقباح، أو من غيرهم.

3- التعقيب: وهو تقصير الكلم وإخراجه من أول الفمِّ من غير توفية الحروف حقها من مخارجها، وهذا كذلك مذموم من الجميع؛ لأنَّه تقصير في الكلام، وبتر للقول، ممَّا يورث الخطبة ركاكة، وتداخل في الكلام، ممَّا يورث المعنى غموضاً، وقصوراً.

وذلك كله مذموم وممقوت؛ لأنَّه تكُّف، وخروج عن مقصود الخطبة وغايتها،

وقد قال الشاعر يهجو رجلاً يُقَعِّر كلامه:

لِكِي مَا تَحْسَبُهُ مِنْ الرِّجَالِ الْفُصْحَاءِ الْمُعْرِبَةِ
وَهُوَ إِذَا حَقَّقْتَهُ مِنْ كَرِبِهِ مِنْ نَخْلَةٍ نَابِتَةٍ فِي خَرِبِهِ

4- الانشغال بعزو الأحاديث إلى مصادرها في الخطبة: وهذا شيء ينبغي أن يحرص الخطيب على الاحتفاظ به في كتابته للخطبة، ولا يذكره في الإلقاء؛ لأنَّه يقلل من التركيز، ويشتت انتباه المستمعين، وهو شيء حادث لم يكن في خطب السلف الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم، ولا في العصور السابقة، وإنَّما ظهر وانتشر عند المحدثين، والخطبة عبادة، وهذا العزو ليس منها⁽¹⁾.

5- الأمل المفرط: وهو أمني بعض الخطباء، فيحاول بعضهم أن يصلح الدنيا كلها بخطبة واحدة، فلا يخاطب الناس على قدر عقولهم، ولا يكلمهم على مقتضى أحوالهم، ولا يسير بهم في طريق الصلاح خطوة خطوة، بل يريدون أن يبلغوا الكمال بقفزة واحدة⁽²⁾، وهذا مخالف للشرع، والحكمة، والعقل، وهو مخالف لسنن الله الكونيَّة في التدرج بالتربية والتعليم، والبدء بالأهمِّ فالمهم، وإنَّما الواجب على الخطيب أن يراعي التدرُّج في التعليم والإصلاح، فيبدأ بالأهمِّ وهو إصلاح العقيدة بتحقيق التوحيد الخالص، فالمهم من المحافظة على الصلاة وباقي أركان الإسلام،

(1) ينظر: برنامج صيانة العلم، الشيخ صالح العسيمي.

(2) ينظر: فصول إسلامية: 87.

- ثمّ باقي الواجبات، فالسنن والآداب، وكلُّ ذلك بأناة وروية وتدريج، وليعلم أنّ من أخذ العلم جملة ذهب العلم عنه جملة، وأنّ من ثبت نبت، ومن واصل وصل..
- 6- الرتابة والتكرار: فتجد بعض الخطب عبارة عن قوالب ثابتة، وألفاظ تُردّد وتعاد، وخاصّة في الخطبة الثانية، مع أنّ الخطبة الثانية لا تختلف في أصل السنة عن الأولى، وما يلتزمه الخطباء فيها من الصلاة الإبراهيمية، والترضي عن الخلفاء والتابعين بأسمائهم، لم يلتزمه أحد من السلف، والالتزام في آخر الخطبة بقراءة قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} ⁽¹⁾، أو غيرها من العبارات لم يثبت في السنة، ولم يكن من عمل السلف الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم ⁽²⁾، وللخطيب أن يختم الخطبة بأي عبارة تدل على ذلك من غير التزام عبارة واحدة..
- 7- غرابة الألفاظ ووحشيتها: من عيوب الخطبة حشوها بالألفاظ الغريبة والوحشية؛ لأنّ السامعين لا يفهمون المراد منها، وتوقعهم في حيرة أو لبس، وهي علامة على عجز الخطيب؛ إذ يعتمد الخطيب الضعيف أو غير المتمكّن إلى الألفاظ الغريبة والوحشية ليغطي فيها ضعفه، ويستر فيها عيبه، إلا أنّه يفضح نفسه بالألفاظ الغريبة أكثر، فيزيد الطين بلة ⁽³⁾، قال ابن المقفع: "إياك والتتبع لوحشي الكلام طمعاً ف نيل البلاغة، فذلك العي الأكبر" ⁽⁴⁾.
- وإنّما الخطيب الناجح هو من يأتي بالألفاظ سهلة سلسلة معروفة مألوفة؛ ليُفهم السامعين ما يريد، ولئلا يُشغلهم عن موضوع الخطبة بتفسير الألفاظ الغريبة؛ فتضيق عليهم الفائدة.
- انتهى الفصل الثاني "الخطبة وأدائها" ويليهِ إن شاء الله الفصل الثالث "أنواع الخطب".

(1) النحل: 90.

(2) ينظر: فصول إسلامية: 88.

(3) ينظر: فصول إسلامية: 88.

(4) البصائر والذخائر: 6 / 169 ، 8 / 56.

الفصل الثالث

أنواع الخطب

الذي يعيننا في فنّ الخطابة هو الخطب الدينيّة بالدرجة الأساس، وخاصّة الجمعة والعيدين، لكنّ الخطيب مطالب بأنواع الخطب كلّها، ويراد منه الخطابة في كلّ نوع، فما من خطيب جمعة إلا ويطلب منه خطبة استسقاء، أو كسوف، أو تأيين، أو صلح، أو نكاح، أو غيرها، وهذا من المكانة التي وهبها الله تعالى للخطيب، ومن فضل الله عليه بتقديم الناس له في كلّ محفل، واقتداؤهم به، والخطب عند العرب كثيرة، بحسب الأحوال، والمقامات، والمناسبات، فيتعيّن على الخطيب معرفتها، والإلمام بها، وهي أنواع كثيرة، نذكر أشهرها وهي ثمانية عشر مقسمة على خمسة مباحث، وسنتكلم بعون الله عن كل نوع منها فيما يأتي:

المبحث الأول

الخطب الدينية

المطلب الأول: خطبتي الجمعة:

1- تعريفها:

هي مقالة دينيّة متزنة يُستشهد فيها بالآيات والأحاديث، وآثار السلف رضي الله عنهم، وأرضاهم.

2- مضمونها:

1. ذكر الله تعالى بحمده وتمجيده والثناء عليه.
2. تعليم أحكام الدين، ونشر العلم الصحيح بين الناس، وخاصّة أصول الدين من أركان الإيمان، وأركان الإسلام وشروطه، وواجباته، والتحذير من نواقضه.
3. العظة والنصيحة، وخاصة بالآيات القرآنية، وما فيها من بشائر وزواجر، والأحاديث النبويّة.
4. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5. علاج الظواهر الطارئة على الناس وفيها مخالفة للشرع حالاً أو مآلاً، أو تكون وسيلة للمخالفة.

3- فرضها:

تشتمل خطبة الجمعة على فروض وسنن، فأما الفروض فهما اثنان:

1. الوقت: وللجمعة وقتان: بعد الزوال، وهذا قول الجمهور، قالوا: إن وقتها هو وقت الظهر، يبدأ من بعد الزوال إلى دخول وقت العصر، للأخبار في ذلك، وجريان العمل عليهما.

وأما الحنايبله فيرون أن وقتها يبدأ من أول وقت العيد، وهو بعد ارتفاع الشمس بمقدار رُمح⁽¹⁾.

وأن تكون الخطبة قبل الصلاة، فلو خطب في الجمعة خارج وقتها المشروع، أو بعد الصلاة لا يجوز⁽²⁾.

2. ذكر الله تعالى، والدليل حديث جابر رضي الله تعالى عنه قال: "كانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه..." الحديث⁽³⁾.

ويتحقق الذكر بتحميدة أو تهليلة أو تسبيحة، هذا إذا كان على قصد الخطبة، أما إذا عطس فحمد الله تعالى، أو سبح، أو هلى متعجباً من شيء لا ينوب عن الخطبة إجماعاً⁽⁴⁾، فلو اقتصر الخطيب على ذكر الله تعالى كتهليلة أو تسبيحة أو تحميدة جاز عن أبي حنيفة رضي الله عنه مع الكراهة، وقال أبو يوسف ومحمد بن الحسن: لا بد من ذكر طويل يسمى خطبة، وأقله بقدر التشهد⁽⁵⁾.

(1) ينظر: فتح الباري لابن حجر: 2 / 387، والأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة: 37.

وما بعدها، والموسوعة الفقهية الكويتية: 19 / 178.

(2) ينظر: دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون: 2 / 60.

(3) صحيح مسلم: 2 / 592، برقم: 867.

(4) ينظر: الجوهرة النيرة على مختصر القدوري: 1 / 89.

(5) ينظر: الباب في شرح الكتاب في الفقه الحنفي، الشيخ عبد الغني الغنيبي الدمشقي الميداني الحنفي: 110/1 - 111.

ويؤيد قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله: أن سيدنا عثمان رضي الله عنه قال على المنبر: "الحمد لله"، ثم ارتج عليه ثم نزل فصلى جماعا. وللتوفيق بين القولين: أنه إذا كانت ضرورة فإنه يجزئ أقل الذكر من تهليله أو تسبيحه، أو تحميدة، ومن غير ضرورة لا بد أن يكون ذكرا بقدر التشهد، وهو أقل قدر للخطبة.

4- سنتها:

وأما سنن خطبة الجمعة فيبي:

1. الطهارة ويكره للمحدث وأجنب أن يخطب الجمعة.
2. القيام، ويكره جلوس الخطيب أثناء خطبته من غير عذر.
3. استقبال القوم بوجهه.
4. أن يسمع القوم الخطبة وإن لم يسمع أجزاءه.
5. البداية بحمد الله تعالى، وهذا مذهب الجمهور، والشافعية ترى الحمد ركنا في الخطبة.
6. الثناء عليه بما هو أهله.
7. الشهاداتتان.
8. الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام.
9. العظة والتذكير.
10. إعادة التحميد والثناء على الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الخطبة الثانية.
11. زيادة الدعاء للمسلمين والمسلمات في الخطبة الثانية.
12. تخفيف الخطبتين بأن تكون الخطبة الواحدة بقدر التشهد، إلى قدر سورة من طوال المفصل ويكره التّطويل أكثر من ذلك، وطوال المفصل من سورة ق إلى سورة النازعات، وتكون الخطبة الثانية أقصر من الأولى ⁽¹⁾.

(1) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: 19 / 182.

13. الْجُلُوسُ بَيْنَ الْخُطْبَتَيْنِ⁽¹⁾، فيفصل بين الخطبتين بجلسة قصيرة للخطيب، ومقدار هذه الجلسة أن يستقر كل عضو منه في موضعه⁽²⁾، وإذا تعدد عليه الجلوس فبسكته قصيرة بقدر الجلسة إذا كان على المنبر⁽³⁾.

14. يستحب في ركعتي الجمعة بعد قراءة سورة الفاتحة قراءة سورة الأعلى في الركعة الأولى والغاشية في الركعة الثانية، أو يقرأ في الركعة الأولى سورة الجمعة وفي الركعة الثانية سورة المنافقون، ولكن لا ينبغي للخطيب المواظبة عليهما لئلا يهجر السور الأخرى، ولئلا تظنُّه العامَّة أنَّ قراءتهما وواجبا من واجبات صلاة الجمعة، وليس الأمر كذلك⁽⁴⁾.

1- خطباؤها:

الأصل في خطبة الجمعة وكذلك خطبة العيد أنَّهما للخلفاء والأمرء ومن ينوب عنهم والغالب عليها أن تكون سياسية دينية اجتماعية فهي خطب عامة تتناول كل أمر من أمور الدين والدنيا، ولا يعني هذا أن خطب الخلفاء والأمرء مقصورة على الجمع والأعياد، بل هم يخطبون عند مسيس الحل إلى الخطبة في أيِّ يوم، أو أيِّ وقت أرادوا. وقد قال عبد الملك بن مروان لما قيل له: عجل عليك الشيب يا امير المؤمنين؟ قال: وكيف لا يعجل عليّ وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين. أي: إنَّه يخطب خطبة الجمعة، وخطبة غيرها في بعض ما يعرض له من الأمور.

2- أمثلتها:

ومن خطب الجمعة العظيمة خطبة أول جمعة جمَّعها النبي ﷺ في المدينة، فقد روى الإمام البيهقي عن أبي سلمة بن عبدالرحمن بن عوف قال: كانت أوَّل خُطْبَةٍ خَطَبَهَا

(1) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري: 2 / 159. وهو ذكر خمسة عشر، لكنَّ الاستعادة قبل الخطبة، وقراءة شيء من القرآن الكريم في الخطبة لم أجد لهما دليلا لذلك تركتهما.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 2 / 60.

(3) ينظر: الأم، للشافعي: 1 / 260، والموسوعة الفقهية الكويتية: 18 / 136.

(4) ينظر: اللباب في شرح الكتاب في الفقه الحنفي، الشيخ عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي: 1 / 111.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

«أَمَّا بَعْدُ: أَيُّهَا النَّاسُ فَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ، تَعْلَمَنَّ وَاللَّهِ لِيُصَعَّقَنَّ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَدَعَنَّ غَنَمَهُ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ، ثُمَّ لِيَقُولَنَّ لَهُ رَبُّهُ لَيْسَ لَهُ تَرْجُمَانٌ، وَلَا حَاجِبٌ يَحْجُبُهُ ذُونَهُ: أَلَمْ يَأْتِكَ رَسُولِي فَبَلَّغَكَ؟ وَآتَيْتُكَ مَالًا، وَأَفْضَلْتُ عَلَيْكَ، فَمَا قَدَّمْتَ لِنَفْسِكَ، فَلَيَنْظُرَنَّ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَلَا يَرَى شَيْئًا، ثُمَّ لَيَنْظُرَنَّ قُدَامَهُ فَلَا يَرَى غَيْرَ جَهَنَّمَ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقِيَ وَجْهَهُ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ، فَإِنَّهَا تُجْزَى الْحَسَنَةَ عَشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ».

ثُمَّ خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ:

«إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ وَأَدْخَلَهُ فِي الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْكُفْرِ، وَاخْتَارَهُ عَلَى مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ النَّاسِ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ وَأَبْلَغُهُ، أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى وَذَكَرَهُ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبِكُمْ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ يَخْتَارُ اللَّهُ وَيَصْطَفِي، فَقَدْ سَمَّاهُ خَيْرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَالصَّالِحِ مِنَ الْحَدِيثِ، وَمِنْ كُلِّ مَا آتَى النَّاسُ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، فَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَأَصْدِقُوا اللَّهَ صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ بَيْنَكُمْ. إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُهُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»⁽¹⁾.

(1) دلائل النبوة للبيهقي مخرجا: 2 / 524 - 525. ذكر الحافظ ابن كثير: أن هذا إسناد مرسل - لكنّه يتقوى بطريق أخرى أخرجها الإمام الطبري، عن سعيد بن عبد الرحمن الجمعي. مع اختلاف الألفاظ. ينظر: البداية والنهاية: 3 / 214. ومعنى قوله يتقوى أنه يحتمل أن يرتقي إلى الحسن إلى غيره والله أعلم.

المطلب الثاني: خطبتي العيد:

1- تعريفها:

هي كخطبة الجمعة، أي: إنَّها مقالة دينيَّة متزنة، وتتَّسم خطب العيد بالعموم إذ إنَّها تتناول أمور الدين والدنيا كافَّة.

2- حكمها:

الخطبتين سنَّة في صلاة العيد، وإنَّ خطب قبل الصَّلَاة جازَّ مع الكراهة وتكون الخطبة بعد الصلاة بخلاف صلاة الجمعة، وتصحُّ صلاة العيد بدونها، بخلاف صلاة الجمعة فلا تصحُّ بدون الخطبتين.

3- مضمونها:

1. شكر الله تعالى على نعمه وفضله.
2. إظهار الفرح بفضل الله ورحمته.
3. تعليم أحكام العيد: إذ الأصل في خطبة تَعْلِيم الناس بأحكام العيد، فيعلموهم مَا يفعلونه فِي يَوْمِ الْفِطْرِ مِنْ إِخْرَاجِ صَدَقَةِ الْفِطْرِ مِنَ الْأَجْنَاسِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا، وَمِنْ الْمُقْدَارِ مِنْ كُلِّ جِنْسٍ مِنْهَا، وَمِنْ الْوَقْتِ الَّذِي يُخْرِجُونَهَا فِيهِ، وَمَنْ يُعْطَوْنَهُ إِيَّاهَا مِنَ النَّاسِ. وَفِي يَوْمِ النَّحْرِ يَأْمُرُهُم بِالنَّحْرِ، وَيَبِينُ لَهُمْ مَا أَحْكَامُ الْأَضْحَايِ مَا يَجْزِي، وَمَا لَا يَجْزِي، وَوَقْتُ ذَبْحِ الْأَضْحِيَّةِ (1).
4. الأَمْرُ بِالصَّدَقَةِ والحث عليها، وترغيب الناس بفضلها.
5. التذكير والتحذير، فيذكر الناس بالله تعالى وبلقائه وثوابه وفضله، والتحذير غضبه وعقابه.

التنويه بالأمور العامَّة للمسلمين كبعث السرايا، والجيوش ونحوها (2)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى، فأول شيء يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم

(1) ينظر: شرح مشكل الآثار: 9/360 – 361، وفتح الباري لابن حجر: 10/17.

(2) ينظر: صلاة العيدين في المصلى هي السنة: 15 – 16.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم فإن كان يريد أن يقطع بعثا قطعه، أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك...⁽¹⁾.

6. اسْتَحْبَابُ وَعْظِ مَنْ حَضَرَ مِنَ النِّسَاءِ مَوْعِظَةً خَاصَّةً بِتَدْكِيرِهِنَّ بِالْآخِرَةِ وَأَحْكَامِ الْإِسْلَامِ، وَحَثِّهِنَّ عَلَى الصَّدَقَةِ، وَهَذَا إِذَا لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَى ذَلِكَ مَفْسَدَةٌ وَخَوْفٌ عَلَى الْوَاعِظِ أَوْ الْمُوعُوظِ أَوْ غَيْرِهِمَا⁽²⁾.

4- وقتها:

تكون خطبة العيد بعد الصَّلَاةِ خلاف صلاة الجمعة، ومن الحكمة في ذلك لتمييز خطبتها عن خطبة الفرض وهي الجمعة.

وتجوز الصَّلَاةُ بِدُونِهَا؛ لِأَنَّ الْخُطْبَةَ سُنَّةً مُسْتَحَبَّةً كَمَا تَقَدَّمَ⁽³⁾.

5- أمثلتها:

مما جاء في خطبة العيد، عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أَضْحَى إِلَى الْبَقِيعِ، فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ نُسُكِنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا، أَنْ نَبْدَأَ بِالصَّلَاةِ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فَنَنْحَرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ وَافَقَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ عَجَلَهُ لِأَهْلِهِ لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ»، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي ذَبَحْتُ وَعِنْدِي جَذَعَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُسِنَّةٍ؟ قَالَ: «أَذْبَحْهَا، وَلَا تَفِي عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ»⁽⁴⁾.

(1) متفق عليه: صحيح البخاري: 2 / 259 ، برقم: 260 ، وصحيح مسلم: 3 / 20 .

(2) ينظر: شرح النووي على مسلم: 6 / 172 ، وشرح أبي داود للعيني: 4 / 488 .

(3) ينظر: المصدر نفسه: 2 / 60 .

(4) صحيح البخاري: 2 / 21 ، برقم: 976 .

المطلب الثالث: خُطْبُ الْحَجِّ:

1- تعريفها:

هي خطب تلقى على الحجاج في أيام الحج: يَوْمُ السَّابِعِ بِمَكَّةَ، وَيَوْمُ عَرَفَةَ، وَيَوْمُ الْعِيدِ بِمِئَى، وَثَانِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بِمِئَى أَيْضًا⁽¹⁾، وتكون خطبتين، يفصل بينهما بجلسة قصيرة للخطيب، وإذا كان راكبا، أو تعذر عليه الجلوس فبسكتة قصيرة بقدر الجلسة إذا كان على المنبر⁽²⁾.

2- مضمونها:

1. وصية الناس الوصايا الجامعة الشاملة في حفظ الحدود، وحفظ الحرمات، والتمسك بالإسلام.
2. تعليم الناس أحكام الحج والعمرة، وما يصنعونه في حجهم، وما يجتنبونه.
3. بيان فضل الحج، وعظيم الأجر فيه، ومعرفة فضل الله على من أتوا إلى الحج ومنتته عليهم.

3- أمثلتها:

حديث عمرو بن مرة، قال: سَمِعْتُ مُرَّةَ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَاقَةٍ حَمْرَاءَ مُخَضَّرَمَةٍ فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ يَوْمِكُمْ هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا يَوْمُ النَّحْرِ. قَالَ: «صَدَقْتُمْ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ، أَتَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ شَهْرِكُمْ هَذَا؟» قُلْنَا: ذُو الْحِجَّةِ. قَالَ: «صَدَقْتُمْ شَهْرَ اللَّهِ الْأَصَمِّ، أَتَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ بَلَدِكُمْ هَذَا؟» قَالَ: قُلْنَا: الْمَشْعَرُ الْحَرَامُ. قَالَ: «صَدَقْتُمْ»، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا». أَوْ قَالَ: «كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَشَهْرِكُمْ هَذَا، وَبَلَدِكُمْ هَذَا. أَلَا وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَنْظَرُكُمْ، وَإِنِّي مُكَائِرٌ بِكُمْ الْأُمَّمَ، فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلَا وَقَدْ رَأَيْتُمُونِي وَسَمِعْتُمْ مِنِّي وَسْتَسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ رِجَالًا أَوْ

(1) ينظر: الأم، للشافعي: 1 / 260، والموسوعة الفقهية الكويتية: 18 / 136.

(2) ينظر: الأم، للشافعي: 1 / 260، والموسوعة الفقهية الكويتية: 18 / 136.

نَاسًا، وَمُسْتَنْقَدٌ مِنِّي آخَرُونَ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ»⁽¹⁾.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْأَخْوَصِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَوَعظَ ثُمَّ قَالَ:

«أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ، أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ؟» قَالَ: فَقَالَ النَّاسُ: يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلَا لَا يَجْنِي جَانٍ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، وَلَا يَجْنِي وَالِدٌ عَلَى وَلَدِهِ، وَلَا وَلَدٌ عَلَى وَالِدِهِ، أَلَا إِنَّ الْمُسْلِمَ أَخُو الْمُسْلِمِ، فَلَيْسَ يَحِلُّ لِلْمُسْلِمِ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ إِلَّا مَا أَحَلَّ مِنْ نَفْسِهِ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ رِبَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ غَيْرَ رَبِّ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ دَمٍ وُضِعَ مِنْ دَمِ الْجَاهِلِيَّةِ دَمُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلْتُهُ هُدَيْلٌ، أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ حَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْنَّ سَبِيلًا، أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ، فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ، أَلَا وَإِنَّ حَقَّكُمْ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»⁽²⁾.

(1) حديث صحيح- مسند أحمد: 38 / 482 ، برقم: 23497 ، وصححه شعيب الأرنؤوط وأصل الحديث في الصحيحين.

(2) حديث حسن صحيح- سنن الترمذي: 5 / 273 - 274 ، برقم: 3087 ، وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وحسنه الألباني، ونحوه عند مسلم.

المطلب الرابع: خُطْبَتِي الاستِسْقَاءِ:

1- تعريفها:

إذا أُجْدِبَت السماء، وحبس المطر يُسَنُّ للناس الخروج إلى صلاة الاستِسْقَاءِ وهي ركعتان، ويُسَنُّ للإمام أن يخطب بعد الصلاة، كهيئة صلاة العيد، وذهب الجمهور إلى أنَّها خطبتان قياساً على خطبة العيد، وذهب الحنابلة إلى أنَّها خطبة واحدة، وهو اختيار الإمام ابن عثيمين رحمه الله؛ والأظهر هو مذهب الجمهور لِقَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي وَصْفِ صَلَاةِ الاستِسْقَاءِ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مُتَبَدِّلاً مُتَوَاضِعاً مُتَضَرِّعاً، حَتَّى آتَى الْمُصَلَّى، فَلَمْ يَخْطُبْ خُطْبَتَكُمْ هَذِهِ، وَلَكِنْ لَمْ يَزَلْ فِي الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالتَّكْبِيرِ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ كَمَا كَانَ يُصَلِّي فِي الْعِيدِ»⁽¹⁾، فهذا نصٌّ من صحابيٍّ فقيه في كَيْفِيَّةِ صَلَاةِ الاستِسْقَاءِ، ولو كان فيها اختلاف عن صلاة العيد لبيَّنه ﷺ.

2- حكمها:

خطبة الاستِسْقَاءِ مستحبة، وقد ذهب جُمُهورُ الفُقَهَاءِ إلى استحباب أن يخطب الإمامُ بَعْدَ صَلَاةِ الاستِسْقَاءِ خُطْبَةً كَخُطْبَةِ الْعِيدِ فِي الْأَرْكَانِ، وَالشُّرُوطِ، وَالسُّنَنِ⁽²⁾.

3- مضمونها:

1. يَعِظُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا.
2. يُخَوِّفُهُمْ مِنَ الْمَعَاصِي
3. يَأْمُرُهُمْ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ وَالصَّدَقَةِ⁽³⁾.
4. الوصية بكثرة الاستغفار.
5. الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بإغاثة الناس وسقيمهم.

(1) حديث حسن- مسند أحمد: 4 / 245 ، برقم: 2423 ، وسنن الترمذي: 2 / 445 ، برقم: 558 ، وسنن النسائي: 3 / 156 ، برقم: 1508 . وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وحسنه الألباني وشعيب الإرنأؤوط.

(2) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: 19 / 187.

(3) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: 19 / 187.

عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ شَكَى النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فُحُوطَ الْمَطَرِ فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمَصَلَّى وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْمًا يَخْرُجُونَ فِيهِ، قَالَتْ عَائِشَةُ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَكَبَّرَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَحَمِدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ قَالَ:

«إِنَّكُمْ شَكُوتُمْ جَدَبَ دِيَارِكُمْ وَاسْتِخَارَ الْمَطَرِ عَنِ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ وَقَدْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَدْعُوهُ وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ».

ثُمَّ قَالَ «(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْغَنِيُّ وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْغَيْثَ وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلَاغًا إِلَى حِينٍ».

ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَزَلْ فِي الرَّفْعِ حَتَّى بَدَأَ بِيَاضٍ إِبْطِيهِ ثُمَّ حَوَّلَ عَلَى النَّاسِ ظَهْرَهُ وَقَلَّبَ أَوْ حَوَّلَ رِدَاءَهُ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ وَنَزَلَ فَصَلَّى رُكْعَتَيْنِ فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَابَةً فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَأَلَتِ السُّيُولُ فَلَمَّا رَأَى سُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ ضَحِكَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ فَقَالَ «أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» (1).

(1) حديث حسن - سنن أبي داود: 1 / 455 ، برقم: 1175. وقال أبو داود: هذا حديث غريب إسناده جيد. وحسنه الألباني.

المطلب الخامس: خُطْبَةُ الْكُسُوفِ:

1- التعريف:

هي خطبة تلقى إذا كسفت الشمس، أو خسف القمر، وتكون خطبة واحدة، وقال بعض الفقهاء: إنَّها خطبتان كصلاة العيد، والأول هو الصحيح وهو مذهب الشافعي⁽¹⁾، وتكون الخطبة بعد الصلاة كما في صلاة العيدين⁽²⁾.

2- موضوعها:

1. الاعتبار بآيات الله تعالى، وأنَّ الشمس والقمر آيتين من آياته ويرى العباد هذه الآيات لعلمهم يتعظون، ويتذكرون.
2. التذكير والتخويف والحضّ على الرجوع إلى الله تعالى.
3. الحث على الاستغفار والذكر.
4. الحث على الصدقة.

3- حكمها:

خُطْبَةُ الْكُسُوفِ مُسْتَحَبَّةٌ، وليست واجبة ولا شرطاً لصحة صلاة الكسوف⁽³⁾، وهذا مذهب الشافعيّة، وهو الصحيح، لما ثبت عن النبي ﷺ أَنَّهُ صَلَّى الْكُسُوفَ، وبعد أن قضى صلاته خطب بهم⁽⁴⁾.

4- مثالها:

من أمثلة خطبة الكسوف مَا وَرَدَ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه: إِنَّ الْقَمَرَ انْكَسَفَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ بِالْبَصْرَةِ فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَصَلَّى بِنَا رُكْعَتَيْنِ فِي كُلِّ رُكْعَةٍ رُكْعَتَانِ، ثُمَّ رَكَبَ فَخَطَبَنَا فَقَالَ: إِنَّمَا صَلَّيْتُ كَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُصَلِّي قَالَ، وَقَالَ:

(1) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: 5 / 188.

(2) ينظر: الأم، للشافعي: 1 / 260.

(3) ينظر: المجموع شرح المهذب: 5 / 52، والموسوعة الفقهية الكويتية: 18 / 135 - 136.

(4) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: 5 / 188.

«إِنَّ الشَّمْسَ، وَالْقَمَرَ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْهُمَا كَاسِفًا فَلْيُكُنْ فَزَعُكُمْ إِلَى اللَّهِ»⁽¹⁾.

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، بعد أن ذكرت كيفية صلاته النبي صلى الله عليه وسلم للكسوف، قالت: ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تجلّت الشمس، فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّهُمَا لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا فَكَبِّرُوا، وَادْعُوا اللَّهَ وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ إِنْ مِنْ أَحَدٍ أُغْيِرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزِنِي عَبْدُهُ، أَوْ تَزِينِي أُمَّتَهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَلَضَحَكْتُمْ قَلِيلًا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟»⁽²⁾.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، بعد أن ذكر كيفية الصلاة، قال: ثم قال - أي النبي صلى الله عليه وسلم -:

«إِنَّهُ عَرِضَ عَلَيَّ كُلُّ شَيْءٍ تُولِجُونَهُ، فَعَرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ، حَتَّى لَوْ تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا أَخَذْتُهُ - أَوْ قَالَ: تَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا - فَقَصُرَتْ يَدِي عَنْهُ، وَعَرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذِّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا، رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمَهَا، وَلَمْ تَدْعُهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرُو بْنِ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَخْسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُرِيكُمُوهُمَا، فَإِذَا خَسَفَا فَصَلُّوا حَتَّى تَنْجَلِيَ»⁽³⁾.

وظاهر من سياق الأحاديث أنها خطبة واحدة وكلّ صحابي حفظ جزءا منها، فحدّث به.

(1) الأم، للشافعي: 1 / 277، وأصله في الصحيحين.

(2) صحيح مسلم: 2 / 618، برقم: 901.

(3) المصدر نفسه: 2 / 622، برقم: 904.

المبحث الثاني

الخطب الاجتماعية

سنتناول في هذا المبحث قسما من الخطب وهو الخطب الاجتماعية وهي التي ترتبط بالمجتمع، وتكون ضمن فعاليات اجتماعية تهدف إلى سلام المجتمع وأمنه واستقراره، وتحقيق متطلباته وتطلعاته، وفيما يأتي توضيح لهذا النوع من الخطب:

المطلب الأول: خطبة الصلح:

1- التعريف:

هي الخطب التي يخطبونها إذا تهادنوا بعد حرب، وهذه خاصّة بالحروب التي كانت تقع بين قبائل العرب خاصّة؛ إذ الصلح بينهم وبين غيرهم من الأمم لا يقع على هذا الشكل.

2- مضمونها:

1. يسلون بها السخائم.

2. يمحون بها أثر الضغائن.

3. يدعون إلى التواصل.

3- مثالها:

من أمثلة خطبة الصلح: خطبة قيس بن خارجة بن سنان، فإنّه لما ضرب بصفيحة سيفه مؤخّرة راحلتي الحاملين في شأن حمالة داحس والغبراء، وقال: مالي فيها أيها العشمتمان؟ قالوا له: بل ما عندك؟ قال: "عندي قري كلّ نازل، ورضا كل ساخط، وخطبة من لدن تطلع الشمس إلى أن تغرب، أمر فيها بالتواصل وأنهى فيها عن التقاطع".

قالوا: فخطب يوما إلى الليل فما أعاد فيها كلمة ولا معنى فقبل لأبي يعقوب:

هلا اكتفى بالأمر بالتواصل عن النهي عن التقاطع؟ أو ليس الأمر بالصلة هو

النبي عن القطيعة؟ قال: أو ما علمت أن الكناية والتعريض لا يعملان في العقول
عمل الإفصاح والكشف⁽¹⁾.

المطلب الثاني: خطب الحمالة أو الضمان:

1- التعريف:

الحمالة - على وزن سحابة - هي: التِّزَامُ دَيْنٌ لَا يُسْقِطُهُ أَوْ طَلَبٌ مَنْ هُوَ عَلَيْهِ لِمَنْ هُوَ لَهُ⁽²⁾، والغالب في الحمالة أنَّها تكون في الدية يحملها قوم عن قوم، فإذا أرادوا حمل دية قتيل قاموا وخطبوا بمثل خطبة الصلح. فهي كخطبة الصلح، وموضوعهما واحد.

2- حكم الحمالة:

ورد في الحديث الإذن فيها بالمسألة، قال رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَحِلُّ الْمَسْأَلَةُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِرَجُلٍ أَصَابَتْ مَالَهُ حَالِقَةٌ، فَيَسْأَلُ حَتَّى يُصِيبَ سَوَادًا مِنْ مَعِيشَتِهِ، ثُمَّ يُمَسِّكُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ. وَرَجُلٍ حَمَلَ بَيْنَ قَوْمِهِ حِمَالَةً، فَيَسْأَلُ حَتَّى يُؤَدِّيَ حِمَالَتَهُ، ثُمَّ يُمَسِّكُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ. وَرَجُلٍ يُقَسِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ ذَوِي الْحِجَا مِنْ قَوْمِهِ بِاللَّهِ لَقَدْ حَلَّتْ لِفُلَانٍ الْمَسْأَلَةُ، فَمَا كَانَ سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ سُحْتٌ لَا يَأْكُلُ إِلَّا سُحْتًا»⁽³⁾.

3- آدابها:

من عادة العرب الإطالة بمثل هذه الخطب؛ لأنَّ المقام داعيا للإطالة، لترقيق النفوس، وإذهاب الشحنة، وانسراح الصدور للصلح، والسلام.

4- مضمونها:

1. الرقائق، وهي المواعظ التي فيها ترقيق النفوس.
2. الحثُّ على الأخوة والتراحم بما يذهب الشحنة.
3. بيان أهميَّة الصلح والسلام لتنسرح الصدور له.
4. التزم الديات والغرامات، وتحملها والتكفل بأدائها.

(1) البيان والتبيين: 1 / 115.

(2) الإتقان والإحكام في شرح تحفة الحكام - المعروف بشرح ميارة: 1 / 119.

(3) صحيح ابن خزيمة: 4 / 65، برقم: 2360. وقال الأعظمي: إسناده صحيح.

5- مثالها:

لم أجد فيما توفر من مصادر على خطبة حمالة، ولا مقطع منا خطبة، ولعلَّ طول هذه الخطب زهّد الناس، أو أرهقهم عن حفظها.

المطلب الثالث: خطبة يوم الحفل:

1- التعريف: يوم الحفل: هو يوم الاجتماع، فإذا اجتمعوا لأمر فهذا هو يوم حفل.

خطبة يوم الحفل: هي الخطب التي يخطبونها إذا اجتمعوا واحتشدوا لأمر قد أهمّهم ونازلة أملت بهم وناثبة نابتهم، وغير ذلك من الأمور. وهو أشبه بما يسمى اليوم مجلس، أو مجتمع، ولا شكَّ أنَّ يوم الحفل غير الموسم؛ لأنَّ اجتماعهم في الموسم لا يكون إلا في وقت معيّن خاصّ، بخلاف اجتماعهم في يوم الحفل، ومن هنا لم تكن خطب الموسم داخلة في خطب يوم الحفل. وأيضا اختلافهما في المضمون، كما سأبيّنه في النقطة الآتية.

2- مضمونها:

1. تعالج خطب يوم الحفل أمرا معيّنًا، وتطرح قضية معينة، ولا تتشعب في طرح القضايا، وهذا بخلاف خطب الموسم فإنّها تتسم بالشموليّة، والعموم، ولا تختصُّ بأمر من الأمور.

2. الأمر الذي تعالجه خطبة يوم الحفل هو الأمر الذي اجتمعوا لأجله.

3. تضمُّ جملة من المآثر، والفضائل بما يدعم القضية التي يجتمعون لأجلها، ويوصل إلى الحلِّ الأمثل لها.

3- أمثلتها:

من أمثلة خطب يوم الحفل:

1. أول خطبة خطبها عليه السّلام بمكّة حين دَعَا قومه، فَقَالَ بعد أن حمد الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ:

«إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت النَّاس ما كذبتكم ولو غررت النَّاس ما غررتكم، والله الَّذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم حقًا، وإلى النَّاس كافة، والله

لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإيها للجنة أبداً أو النار أبداً، وإنكم لأول من أندر بين يدي عذابٍ شديد»⁽¹⁾.

مثال آخر:

خطبة العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه في أهل بيعة العقبة، لما اجتمعوا في الشَّعبِ ينتظرون رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ. فَلَمَّا جَلَسَ كَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ- قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِنَّمَا يُسْمَوْنَ هَذَا الْعَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ: الْخَزْرَجِ، خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَا مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأِينَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزِّ مَنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبِي إِلَّا الْإِنْجِيَارَ إِلَيْكُمْ، وَاللُّهُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَأَفُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ.

فَقَالُوا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ"⁽²⁾.

(1) نثر الدر في المحاضرات: 1 / 178 - 179.

(2) سيرة ابن هشام: 1 / 441 - 442.

مثال ثالث:

من الأمثلة على حُطَبُ يومِ الحفلِ الخطبِ يومِ السقيفةِ، فقد قال حباب بن المنذر رضي الله عنه: "أنا جُدَيْلُهَا المحكِّكُ، وعُدَيْقُهَا المرَجَّبُ (1)، إن شئتم كررناها جذعة. منا أمير ومنكم أمير، فإن عمل المهاجري شيئاً في الأنصاري رد ذلك عليه الأنصاري، وإن عمل الأنصاري شيئاً في المهاجري رد عليه المهاجري".

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: "نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً، وأوسطهم داراً، وأكرم الناس أحساباً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثر الناس ولادةً في العرب، وأمسُّهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمنا قبلكم، وفدِّمنا في القرآن عليكم، فأنتم إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفياء، وأنصارنا على العدو، أويتهم ونصرتهم وأسيتهم، وجزاكم الله خيراً، نحن الأمراء، وأنتم الوزراء. ولا تدين العرب إلا لهذا الحيِّ من قريش، وأنتم محقوقون ألا تنفوسوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم"، وقال: "إن هذا الأمر إن تطاولت عليه الخزرج لم تقصر عنه الأوس، وإن تطاولت عليه إليه الأوس لم تقصر عنه الخزرج، وقد كان بين الحيِّين قتلى لا تنسى وجراح لا تتداوى، فإن نعقل منكم هناك، فقد جلس بين حيِّين. أسد يرغمه المهاجري، ويجرحه الأنصاري".

قال ابن دأب: فرماهم الله بالمسكنة حتى قالوا: إنا قد رضينا. فيوم السقيفة يوم حفل وخطبة كل من حباب وأبي بكر الصديق رضي الله عنه من خطب يوم الحفل (2).

المطلب الرابع: خطبة التآيين:

1- التعريف:

- (1) الجذيل المحكك: الركن الذي يحتسى به، مأخوذ من جذل الشجرة وهو أصل جذعها تلجأ إليه الإبل الجرباء تحتك به فتشتفي به، أي: قَدْ جَرَّبْتَنِي الأُمُورَ وَلي رَأْيٍ وَعَلِمْتُ يُشْتَفَى بِهِمَا كَمَا تَشْتَفِي هَذِهِ الإِبِلُ الجَرْبِيُّ هَذَا الجِذْلُ، وَصَغَّرَهُ عَلَى جِهَةِ المُدْحِ. ينظر: لسان العرب، مادة (جذل): 10 / 413 ، 107 / 11. وعديقها المرجب: أي طلعتها وثمرها العظيم، مأخوذ من عذق النخلة وهو عرجون التمر، ويلحظ أنه أتى بجذيل وعديق على صيغة التصغير، لكنَّه أراد التعظيم، لأن المقام مقام مدح وتعظيم، وأتى بقوله مرجب، أي: معظم. ينظر لسان العرب، (مادة عذق): 10 / 238 – 239.
- (2) البيان والتبيين: 3 / 198 - 199. وأصلها في الصحيحين، مع ذكر الحادثة كاملة.

التأبين: هو الثناء على الميت، كما أنّ التقرير هو الثناء على الحيّ. خطبة التأبين: هي الخطب التي يقومون فيها على قبر من مات، فيندبونه ويثنون عليه بما هو أهله ويعدّدون محاسنه، فيبكون عليه وكان ذلك من عاداتهم قديماً.

2- المضمون:

1. ذكر محاسن الميت والثناء عليه، والشهادة له بخير.
2. بكاء الفقيد، وإظهار الألم والحزن على فراقه.
3. تسلية النفس برجاء المغفرة له، وحسن الظنّ بالله تعالى.
4. تذكير المستمعين بالاستعداد للموت، والمسارة بالتوبة والعمل الصالح.
5. الدعاء للميت، ولموتى المسلمين، وللحضور وللمسلمين كافةً.

3- الأمثلة:

من أمثلة خطب التأبين:

تأبين أمّ المؤمنين عائشة لأبيها ﷺ لما توفي، قامت على قبره، فقالت: "نظر الله وجهك، وشكر لك صالح سعيك، فلقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها، وللآخرة معزاً بإقبالك عليها، وإنّ كان لأجل الأرزاء بعد رسول الله ﷺ رزؤك، وأكبر المصائب فقدك، وإن كتاب الله ليعيد بجميل العزاء عنك حسن العوض منك. فأنتجز من الله موعوده فيك بالصبر عنك، وأستخلصه بالاستغفار لك" (1).

مثال آخر:

قالت صفية بنت هشام المنقرية في تأبين قيس بن عاصم المنقري وكانت ابنة عمه: لله درك من مجن في جن ومدرج في كفن إنا لله وإنا إليه راجعون جعل الله سبيل الخير سبيلك ودليل الرشد دليلك أما والذي أسأله أن يفسح لك في مدخلك وأن يبارك لك في محشرك والذي كنت من أجله في عدة ومن الكأبة في مدة ومن الأثرة إلى نهاية ومن الضمار إلى غاية لقد كنت صحيح الأديم منيع الحرم عظيم السلم فاضل الحلم واري الزناد رفيع العماد وإن كنت لمسوداً وإلى الملوك لموفداً وفي المحافل شريفاً وعلى الأرامل عطوفاً وكانت الملوك لقولك مستمعين ولرأيك متبعين ولقد عشت حميداً ودوداً

(1) البيان والتبيين: 2 / 207.

ومت شهيداً فقيداً ثم أقبلت على الناس بوجهها فقالت عباد الله إن أولياء الله في بلاده شهودٌ على عباده وإننا لقائلون حقاً ومثنون صدقاً وهو أهل لطيب الثناء فعليه رحمة الله وبركاته وما مثله في الناس إلا كما قال الشاعر في قيس بن عاصم⁽¹⁾:

عليك سلام الله يا قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحمًا
فَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكُهُ هَلَكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا
سَلَامٌ امْرِيٍّ أودعته منك نعمةً إذا زار عن شحط بلادك سالماً

مثال ثالث:

قامت فرغانة بنت أوس بن حجر على قبر الأحنف بن قيس وهي على راحلة، فقالت: "إننا لله وإننا إليه راجعون. رحمك الله أبا بحر من مجنّ في جنن، ومدرج في كفن، فو الذي ابتلانا بفقدك، وأبلغنا يوم موتك، لقد عشت حميدا، ومت فقيدا، ولقد كنت عظيم الحلم، فاضل السلم، رفيع العماد، واري الزناد، منيع الحريم، سليم الأديم، وإن كنت في المحافل لشريفا، وعلى الأرامل لعطوفا، ومن الناس لقريبا، وفيهم لغريبا. وإن كنت لمسودا، وإلى لخلفاء لموفدا، وإن كانوا لقولك لمستمعين، ولرأيك لمتبعين"، ثم انصرفت⁽²⁾.

المطلب الخامس: خطبة الموسم:

1- التعريف:

الموسم: هو المجتمع سبّي به؛ لأنّه معلم يُجتمع إليه، وقد كثر استعماله لوقت اجتماع الحاج، وسوقهم في مكة، وكانت للعرب أسواق يقيمونها في أوقات معينة وينتقلون من بعضها إلى بعض للبيع والشراء وكان يحضرها العرب بما عندهم من المآثر والمفاخر ويتناشدون فيها الأشعار، ويلقون الخطب، ويتحاكمون فيها إلى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غثّه من سمينه، وتفضيل شاعر على آخر، فكانوا يفضلون من سهلت عبارته وكان لها النصيب الأوفر من الفصاحة وحسن البيان مع التحرز من العيب، والابتعاد عن النقص، ويتخيرون في خطبهم وأشعارهم من لغات العرب ما حلا

(1) بلاغات النساء: 56.

(2) البيان والتبيين: 2 / 198 - 199.

في الذوق، وخف على السمع، فكانت هذه الأسواق أندية علمية، ومجتمعات لغوية أدبية تتوصّل بها العرب إلى تهذيب لغتهم لفظاً وأسلوباً، وجعل لغة الشعر والخطابة لغة واحدة بين جميع القبائل، فمن هذه الأسواق المجنة، وذو المجاز، وعكاظ، وهو أشهرها.

وخطب الموسم: هي الخطب التي كانوا يخطبونها في هذه المواسم والأسواق، ونحوها.

2- آدابها:

أ- الوقوف على مكان مرتفع ليسمع صوته للحاضرين، ولذلك كانوا يخطبون في المواسم وهم على رواحلهم، وقد خطب النبي ﷺ خطبة حجة الوداع في عرفة وهو على راحلته، كما في حديث أبي أمامة الباهليؓ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَخَطَبَنَا فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْجَدْعَاءِ وَتَطَاوَلَ فِي عَزْرِ الرَّحْلِ...» الحديث⁽¹⁾.

ب- تتسم بالشمول والعموم، فهي تتناول قضايا عامّة، وتكون شاملة لموضوعات كثيرة، وجملة من الوصايا، وهذا يتّضح جلياً عند قراءة خطبة الوداع.

3- مضمونها:

1. والتركيز على ترسيخ الأسس العامّة للمجتمع، والحفاظ عليها.
2. تعداد المفاخر والمحاسن والمآثر.
3. مواجهة الأخطار، والمنكرات الطارئة التي تعمُّ بها البلوى.
- 4- أمثلتها: من خطب المواسم خطبة قُسي بن ساعدة التي خطبها في عكاظ وهو على راحلته، قال: "أيها الناس: اجتمعوا فاسمعوا وعوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكل ما هو آتٍ آتٍ". وقال فيها: "آيات محكمات: مطر ونبات، وآباء وأمّهات، وذاهب وآت، ضوء وظلام، وبر وآثام، ولباس ومركب، ومطعم ومشرب، ونجوم تمور، وبحور لا

(1) حديث صحيح- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان: 7 / 15، برقم: 4544. وصححه الألباني.

تغور، وسقف مرفوع، ومهاد موضوع، وليل داج، وسماء ذات أبراج. ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون، أرضوا فأقاموا، أم حبسوا فناموا".
مثال آخر: وقال قسّ بن ساعدة أيضا: "يا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد. أين المعروف الذي لم يشكر، والظلم الذي لم ينكر. أقسم قسّ قسما بالله، إن لله دينا هو أرضى له من دينكم هذا"⁽¹⁾.

المطلب السادس: خطبة النكاح:

- 1- تعريفها: وهي الخطبة التي يقولونها عند خطبة امرأة؛ فكانوا إذا خطبوا امرأة واجتمعوا عند ولها لأجل الإملاك يخطب أحدهم..
- 2- مضمونها: يتكلم الخطيب بما يُرغّب وليّ المرأة في الخاطب بمدحه والثناء عليه، فيجيبه الولي بالقبول.
- 3- حكمها: خطبة النكاح من سنّة، ولا تجب بل هي مستحبّة، جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: " يُسْتَحَبُّ أَنْ يَخْطُبَ الْعَاقِدُ أَوْ غَيْرُهُ مِنَ الْحَاضِرِينَ خُطْبَةً وَاحِدَةً، بَيْنَ يَدَيِ الْعَقْدِ، وَإِنْ خَطَبَ بِمَا وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ أَحْسَنُ، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: يُسْتَحَبُّ تَقْدِيمُ خُطْبَتَيْنِ، إِحْدَاهُمَا قَبْلَ الْخُطْبَةِ، وَالْأُخْرَى قَبْلَ الْعَقْدِ"⁽²⁾.
- 4- مستحباتها: ويُسْتَحَبُّ التَّخْمِيدُ فِيهَا قَبْلَ إِجْرَاءِ الْعَقْدِ؛ لِمَا وَرَدَ فِيهَا مِنْ لَفْظِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ»⁽³⁾.
- 5- آدابها: ممّا يستحسنونه في خطبة النكاح:

(1) البيان والتبيين: 1 / 253 - 254.

(2) الموسوعة الفقهية الكويتية: 19 / 189.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 10 / 267.

أولاً: الطول: طول خطبة النكاح ممّا تعارفت عليه العرب، فقد كان الخاطب يطيل خطبته، والمجيب يقصرها.

ثانياً: الجلوس: من عادتهم في خطبهم كلّها أنّهم يخطبون وهم قيام إلا في خطبة النكاح، فإنّ الخطيب يخطب وهو قاعد، ومن هنا كانت خطبة النكاح أشقّ عليهم من غيرها من الخطب، ومقام الخطيب فيها أرح، فلا يُقدّم عليها إلا من كان في بيانه أبراً، وعلى القول في المحافل أجراً، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما يتصعدني كلام كما تتصعدني خطبة النكاح"، وقد سئل ابن المقفع عن قول عمر هذا، فقال: ما أعرفه إلا أنّ يكون أراد قرب الوجوه من الوجوه، ونظر الجدّاق من قرب في أجواف الجدّاق؛ ولأنّّه إن كان جالسا معهم كانوا كأنّهم نظراء وأكفاء، وإذا كان على المنبر صاروا سوقة ورعية.

6- أمثلتها: ومن أمثلة خطبة النكاح:

مثال أول: خطبة أبي طالب بن عبد المطلب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تزوّجه بأُم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ورحمة الله عليها، فقال ابو طالب:
"الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً، وجعلنا الحكام على الناس؛ ثم إن محمد بن عبد الله، ابن أخي، من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه براً وفضلاً، وكرماً وعقلاً، ومجداً ونبلاً، وإن كان في المال قل، فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتكم من الصداق فعلي". وهذه الخطبة من أقصد خطب الجاهلية⁽¹⁾.

مثال ثانٍ: من خطب النكاح ما روي عن الحسن البصري رحمه الله أنّه كان يقول في خطبة النكاح بعد حمد الله والثناء عليه:

(1) الكامل في اللغة والأدب: 4/ 4.

"أما بعد: فإنَّ الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة، والأنساب المتفرقة، وجعل ذلك في سنَّة من دينه، ومنهاج واضح من أمره، وقد خطب إليكم فلان، وعليه من الله نعمة"⁽¹⁾.

ويروى بدلا من قوله " خطب إليكم فلان " قوله: "وقد تزوّج فلان بن فلان بفلانة ابنة فلان، وبذل لها من الصداق كذا وكذا، فاستخيروا الله وردوا خيراً"⁽²⁾.

مثال ثالث: وعن أبي الوليد الليثي قال: خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة، وهي أم عامر بن صعصعة، فقال عامر بن الظرب: "يا صعصعة: إنك قد أتيتني تشتري مني كبدي، وأرحم ولدي عندي، غير أنني، أطلبتك أو رددتك، فالحسب كفاء الحسب، والزوج الصالح أب بعد أب، وقد انكحتك مخافة ألا أجد مثلك أفر من السر إلى العلانية. أنصح ابنا، وأدع ضعيفا قويا. يا معشر عدوان: خرجت من بين أظهركم كريمتكم من غير رغبة ولا رهبة. أقسم لولا قسم الحظوظ على قدر المجدود، لما ترك الأول للأخر شيئا يعيش به"⁽³⁾.

(1) البيان والتبيين: 2 / 68 ، محاسن المحاسن والمساوي: 195 ، بترقيم الشاملة آليا.

(2) محاسن المحاسن والمساوي: 195 ، بترقيم الشاملة آليا.

(3) البيان والتبيين: 2 / 51.

المبحث الثالث

الخطب العلميّة

سنتناول في هذا المبحث قسماً من الخطب وهو الخطب العلميّة، وهي خطب تنقل فيها الحقائق العلمية المجردة، والاستنتاجات البحثية والاكتشافات بأسلوب خطابي وطريقة خطابية، وهي عامة وخاصة، وفيما يأتي توضيح لهذا النوع من الخطب:

المطلب الأول: الخطب العلمية العامّة:

أ- التعريف: الخطب العلمية العامّة: هي خطب موجهة إلى جمع عام من الناس يوجز لهم فيه ملخص فصل أو خلاصة بحث، أو موجز دراسة علمية نشرت للعلم، وتنويراً لأذهانهم، وتثقيفاً لهم، وترقية للرأي العام ونشراً للثقافة في بين أفراد، ونشر الأفكار الناضجة بينهم.

ومن هذا النوع الخطب التي تصدر فيها مصنفات العلماء السابقين، والتي تكون مقدمة للكتاب، ويوضح فيها حقائق علمية تتعلق بالعلم الذي يصنف فيه، وبطريقته في تأليف كتابه، والشرط الذي التزمه فيه.

هذا النوع من الخطب تقرب فيه المسائل العلمية، وتسهل فيه الأفكار، وتجذب الأسماع؛ ولذا يعد من أنواع الخطابة، وإن لم تكن بحوثه من الموضوعات الخطابية. وينبغي في الخطب العلمية ألا تفقد صيغتها العلمية، ولا روحها الفكرية، وليس معنى ذلك أن يخلى كلامه وإلقاءه من الطرق الخطابية، بل معناه ألا تسيطر المظاهر الخطابية على الحقائق العلمية؛ فتطمسها أو تبعثرها وسط الجو الخطابي؛ فعليه أن يتخذ من الخطابات ما يساعد على تثبيت المعلومات في الأذهان، وإثارة الانتباه، وإيقاظ الشوق إلى ما يقول؛ فالخطابة هنا وسيلة لا غاية، وأمة للحقيقة لا سيدة لها⁽¹⁾.

ب- مضمونها: إعلام المستمعين بخلاصة ما من علم شرعيّ، أو علم تجريبيّ تطبيقيّ يخبرهم بما وصل إليه الفكر البشري في الموضوع الذي يطرقه. ويتجنب ما يثير

(1) ينظر: الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 212.

الغضب أو الحزن أو الحماسة؛ فما وقف ليثير أشجانهم أو أفراحهم، ولا يحفز همهم، أو يلهب حماسهم، ولكن وقف لينهي عقولهم.

ت- طريقة الإلقاء: ينبغي الابتعاد عن المصطلحات العلمية، والعبارات التي لا يفهمها إلا المختصون في علوم تلك البحوث؛ لأنَّ الخطبة العلمية تلقى على الجماهير المتعلمة إلى حد ما، وفيهم الفاهم للمصطلحات، وغير العارف لها، فإلقاء هذا النوع من الخطب بالعبارات العلمية الجافة الغامضة على غير أهلها موجب لسأمهم، ذاهب برغبتهم، فيجب على الخطيب الاتجاه إلى العبارات المألوفة، وتسهيل الأفكار، وتقريبها من المعروف، وضرب الأمثال والقياس بين ما يعرفونه وما يريد هو أن يعرفوه في خطبته⁽¹⁾.

ث- مثالها:

من الأمثلة المهمة العظيمة لهذا النوع من الخطب خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع، والتي سميت خطبة البلاغ، وأنقل النص الذي ذكره ابن زيدون تحت عنوان " خطبة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ": «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ [أشهد] أن محمدا عبده ورسوله.

أوصيكم عباد الله، بتقوى الله، وأحثكم على طاعة الله، وأستفتح بالذي هو خير.

أما بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا! أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا. ألا هل بلغت، اللهم اشهد! فمن كانت عنده أمانة فيلوذها إلى الذي ائتمنه عليها؛ وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبداً به ربا عمي العباس بن عبد المطلب؛ وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير

(1) ينظر: المصدر نفسه: 213.

السّدانة والسّقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر، وفيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس، إنّ الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما سوى ذلك ما تحقرون من أعمالكم.

أيها الناس، إنّما النّسيء زيادة في الكفر يضلّ به الذين كفروا يحلّونه عاما ويحرّمونه عاما ليواطئوا عدّة ما حرّم الله. وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادي وشعبان. ألا هل بلغت، اللهم اشهد!

أيها الناس، إنّ لنسائكم عليكم حقا، وإنّ لكم عليهنّ حقا: لكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة؛ فإن فعلن فإنّ الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتجرهنّ في المضاجع وتضربوهنّ ضربا غير مبرح؛ فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهنّ وكسوتهن بالمعروف؛ وإنما النساء عندهم عوان لا يملكن لأنفسهنّ شيئا، أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله؛ فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهنّ خيرا [ألا هل بلغت، اللهم اشهد!].

أيها الناس؛ إنّما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئٍ مال أخيه إلا عن طيب نفسه. ألا هل بلغت، اللهم اشهد! فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض؛ فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلّوا [بعده] كتاب الله وأهل بيتي، ألا هل بلغت اللهم اشهد.

أيها الناس، إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد؛ كلکم لآدم وأدم من تراب، أكرمکم عند الله أتقاكم؛ ليس لعربيّ على عجمي فضل إلا بالتقوى. ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

أيها الناس، إنّ الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث؛ ولا يجوز لو ارث وصية في أكثر من الثلث؛ والولد للفراس وللعاهر الحجر؛ من دعي إلى غير أبيه، أو تولى غير

مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»⁽¹⁾.

المطلب الثاني: الخطب العلمية الخاصّة:

أ- التعريف: هي خطي موجهة إلى مجتمع علمي، أو فصل دراسي؛ إذ يستحسن بعض المحاضرين أن يلقي محاضرتهم على طلابه قراءة من صحيفة أو سجل، لكيلا تذهب الحقائق العلمية في تيار حماسة الإلقاء الخطابي من غير اعتماد على كتاب، ولكي يكون التعبير عن الحقائق دقيقا محكما.

ب- طريقة الإلقاء: يفضل بعض المحاضرين أن أحسن إلقاء للمحاضرة هو الإلقاء الخطابي من اعتماد على صحيفة أو كتاب؛ ليستطيع المحاضر الإشراف على السامعين، فيتبع حركات أفكارهم، ويستطيع بهذا الإشراف اجتذابهم؛ ولأنّ الإلقاء من ورق من شأنه أن يوحى بالملال والسامة. ونحن نرى إذا عوّل المحاضر على الإلقاء من الورق أن يتركه وقتاً بعد آخر، ويعتمد على ذاكرته، ليستطيع الإشراف على السامعين، وليتصل بهم روحيا، ويمنع السامة عنهم.

ت- مضمونها: لا يختلف في حقيقته وروحه عن المضمون في الخطب العلميّة العامّة، بل هو مثله في ابلاغ المستمعين بخلاصة باب من العلم الشرعيّ، أو بموضوع من علم تجريبيّ تطبيقيّ، وإنّما الخلاف بينهما في الجزئيّات والتفصيلات

ث- مثالها: مما يمكن أن يكون مثالا في الخطب العلمية الخاصة صحيفة بشر بن المعتمر التي ذكرها الجاحظ، فقال: "مرّ بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مخرمة السكوني الخطيب، وهو يعلم فتياهم الخطابة، فوقف بشر فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظّارة، فقال بشر: اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا. ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميّقه، وكان أول ذلك الكلام:

خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إليك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرًا، وأشرف حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور، وأسلم من

(1) العقد الفريد: 4 / 147 - 149.

فاحش الخطاء، وأجلب لكلّ عين وغرّة، من لفظ شريف ومعنى بديع. وأعلم ان ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول، بالكد والمطاولة والمجاهدة، وبالتكلف والمعاودة. ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصدا، وخفيفا على اللسان سهلا، وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه. وإياك والتوعّر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين ألفاظك. ومن أراغ معنى كريما فليتمس له لفظا كريما، فإن حقّ المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما، وعما تعود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما، وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما. فكن في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا، وفخما سهلا، ويكون معنك ظاهرا مكشوبا، وقريبا معروفا، أما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت. والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة.

وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المال. وكذلك اللفظ العامي والخاصي. فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفعم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلتطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الاكفاء، فأنت البليغ التام.

قال بشر: فلما قرئت على إبراهيم قال لي: أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان" (1).

(1) البيان والتبيين: 1 / 128 – 129 ، والعقد الفريد: 4 / 146 - 147.

المبحث الرابع

الخطب الرسمية

سنتناول في هذا المبحث قسما من الخطب وهو الخطب الرسمية، وهي خطب تلقى بين يدي أصحاب المناصب والترتب من الخلفاء والرؤساء والأمراء، والقضاة والولاة، ويغلب عليها المطالبة بحقٍّ عامٍّ أو خاصٍّ، واستمهاب واستنكار لأمر ما، وفيما يأتي توضيح لهذا النوع من الخطب:

المطلب الأول: خطب الخصومات والقضاء:

- 1- التعريف: وهي خطب تلقى في المرافعات القضائية، وعند الفصل في الخصومات، وحل معضلات القضايا، بين يدي قاض أو مجموعة قضاة.
- 2- خطباؤها:

المشهور في هذا النوع من الخطب أن يلقيها:

الادعاء العام، يلقي ممثل الادعاء العام كلمة في المرافعة هي في حقيقتها خطبة. المحامي: يلقي كذلك المحامي كلمة هي في حقيقتها خطبة للدفاع عن موكله، وإظهار أدلة براءته، وكشف الحقيقة بحسب ما يتوفر عنده من أدلة.

طرفا الخصومة المدعي والمدعى عليه: قد يحتاج طرفا الخصومة إلى بيان وجهة نظره والدفاع عن حقه فيلقي خطبة في هذا الغرض، كما جاء في الحديث عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، وَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ»⁽¹⁾.

وقال سعد زغلول وهو من رجال القانون: يظهر لي أن العدالة الحقيقية غير موجودة في هذا العالم؛ لهذا كله كانت مجالس القضاء مكانا لمغالبة الخصوم، ومقارعة الحجج، وميدانا فسيحا للاستدلال الخطابي، كل محاول جذب القضاء إلى فكرته، وإقرار دعواه وإجابة طلبه".

(1) صحيح البخاري: 9/ 25، برقم: 6967.

3- مضمونها:

1. الدعوة إلى تحقيق العدالة، وإحقاق الحق.
2. ذكر الخطيب الأدلة التي تدعم موقفه.
3. تفنيد حجج الخصم وابطال أدلته.

4- أمثلتها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وَعَاءٌ، وَثُدْيِي لَهُ سِقَاءٌ، وَحَجْرِي لَهُ حِوَاءٌ، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ، مَا لَمْ تَنْكِحِي»⁽¹⁾.
رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ.

مثال آخر:

جرى بين أبي الأسود الدؤلي وبين امرأته كلام في ابن كان لها منه وأراد أخذه منها، فسار إلى زياد وهو والي البصرة، فقالت المرأة: أصلح الله الأمير، هذا ابني كان بطني وعاءه، وحجري فناءه، وثديي سقاءه، أكلؤه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم أزل بذلك سبعة أعوام حتى إذا استوفى فصاله، وكملت خصاله، واستوكعت أوصاله، وأملت نفعه، ورجوت دفعه، أراد أن يأخذه مني كرهاً، فأدني أيها الأمير، فقد رام قهري، وأراد قسري.

فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، هَذَا ابْنِي حَمَلْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ، وَوَضَعْتَهُ قَبْلَ أَنْ تَضَعَهُ، وَأَنَا أَقْوَمُ عَلَيْهِ فِي أَدْبِهِ، وَأَنْظُرُ فِي أَوْدِهِ، وَأَمْنَحُهُ عَلْمِي، وَأَلْهِمُهُ حَلْمِي، حَتَّى يَكْمَلَ عَقْلَهُ، وَيَسْتَحْكَمَ فِتْلَهُ.

فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: صَدَقَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَمَلَهُ خَفَاءً، وَحَمَلْتَهُ ثِقَلَاءً، وَوَضَعَهُ شَهْوَةً، وَوَضَعْتَهُ كَرْهَاءً.

فَقَالَ لَهُ زِيَادُ: ارْجِعِي عَلَى الْمَرْأَةِ وَلِدَهَا فِيهَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ، وَدَعْنِي مِنْ سَجْعِكَ"⁽²⁾.

(1) حديث حسن- مسند أحمد: 11 / 311، برقم: 6707، وسنن أبي داود: 2 / 251، برقم: 2278. وحسنه الألباني، وشعيب الأرنؤوط.

(2) أمالي القالي: 2 / 12. ومعنى قولها: "استوكعت"، أي: اشتدت، و"أدني"، أي: قوني وأعني.

المطلب الثاني: خطب المواهب:

- 1- التعريف: خطب المواهب: هي الخطب التي يستوهبون فيها الهبات والعطايا عند وفودهم على الخلفاء، والولادة.
- 2- مضمونها: تتضمَّن خطبة المواهب:
 1. التنويه بالمخاطب، وكرمه وخصاله الحميدة.
 2. تحذيره من التقصير بمسؤولياته، والتغافل عن حاجات الرعيَّة.
 3. عرض حاجته، والهبة التي يؤمِّلها من المخاطب.
 4. شكاية حال الناس من ورائه، وإظهار ما هم فيه من العوز.
 5. التذكير بالثواب وما أعدَّ الله للمتصدقين والمتصدقين من أجر عظيم.
- 3- أمثلتها:

من الأمثلة على خطبة المواهب: ما وقع الهلال بن وكيع وزيد بن جبلة والاحنف بن قيس عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد وفدوا عليه، فقال هلال: " يا أمير المؤمنين، إننا لباب مَنْ خلفنا من قومنا، وغرة من وراءنا من أهل مصرنا، وإنك إن تصرفنا بالزيادة في أعطياتنا، والفرائض لعيلاتنا، يزد ذلك الشريف منا تأميلا، وتكن لذوي الأحساب أبا وصولا. فإننا أن نكن مع ما نمتَّ به من فضائلك، وندي به من أسبابك، كالجَدِّ الذي لا يحلَّ ولا يرحل، نرجع بأنف مصلومة وجدود عائرة؛ فمحننا وأهالينا بسجل من سجالك المترعة.

وقام زيد بن جبلة فقال: يا أمير المؤمنين، سود الشريف وأكرم الحسيب، وأزرع عندنا من أياديك ما نسد به الخصاصة، ونطرد به الفاقة فإننا بقف من الأرض، يابس الأكناف مقشعر الذروة، لا شجر فيه ولا زرع، وإننا من العرب اليوم إذ أتيناك بمرأى ومسمع.

وقام الأحنف فقال: يا أمير المؤمنين إن مفاتيح الخير بيد الله، والحرص قائد الحرمان. فاتق الله فيما لا يغني عنك يوم القيامة قتيلا ولا قالا، واجعل⁽¹⁾.

مثال آخر:

(1) البيان والتبيين: 2 / 98.

مما يصح أن يكون من خطب المواهب خطبة الهلال بن زفر عند يزيد بن المهلب في حملات لزمته ونوائب نابتة فقال: "أصلحك الله: إنَّه قد عظم شأنك عن أن يستعان عليك، ولست تصنع شيئاً من المعروف إلا وأنت أكبر منه، وليس للعجب بأن تفعل، ولكن العجب بأن لا تفعل". فقال يزيد: "حاجتك"؟ فذكرها. فأمر بها، وأمر له مئة ألف درهم. فقال: أما الحملات فقد قبلتها، وأما المال فليس هذا موضعه⁽¹⁾.

المطلب الثالث: خطب بين السماطين:

1- التعريف:

1. السماط هو الصفُّ، وسماط القوم صفُّهم. وقيل: السماط هو صف الجنود الذين يتقدمون.

2. خطب بين السماطين: هي الخطب التي يخطبونها عند الملوك والأمراء. قياما بين صفين من الجنود قد اصطفوا بين يدي الملك أو الأمير، وذلك أنَّ الجند والحضور يصطفون صفين متقابلين بين يدي الملك، فيقوم الخطيب فيخطب بين هذين الصفين.

2- مضمونها:

1. استنكار التأخر في الإذن بالدخول، وكثرة الحجَّاب، وجفاءهم.
2. تذكير الأمير ونحوه بعدم دوام الدنيا على حال، وزوال المنصب والجاه، وأنَّ الآخرة هي الدار الحقيقيَّة.
3. المطالبة بالحقوق، واستنكار تأخيرها، أو تناسها سواء أكانت حقوق عامَّة أم خاصَّة.

4. دفع المتكلم التهمة واللوم عن نفسه أو عن قومه ومن وراءه من الناس.

3- أمثلتها:

قال سعيد بن سلم: كنت واليا بأرمينية، فغبر أبو دهمان الغلابي على بابي أياما، فلما وصل إلي مثل يدي قائما بين السَّماطين وقال: "والله إني لأعرف أقواما لو علموا أن سفَّ التراب يقيم من أود أصلاهم لجعلوه مسكة لأرماقهم، إيثارا للتنزه

(1) البيان والتبيين: 2 / 44.

عن عيش رقيق الحواشي. أما والله إني لبعيد الوثبة، بطيء العطفة. وإنه والله ما يثني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك، ولئن أكون مقلا مقربا أحب إلي من أن أكون مكثرا مبعدا، والله ما نسأل عملا لا نضبطه، ولا مالا إلا ونحن أكثر منه. وهذا الأمر الذي صار إليك وفي يديك، قد كان في يدي غيرك، فأمسوا والله حديثا، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر، ولين الجانب، فإن حبّ عباد الله موصول بحب الله، وبغضهم موصول ببغض الله، لأنهم شهداء الله على خلقه، ورفقاؤه على من عاج عن سبيله"⁽¹⁾.

ودخل عتبة بن عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، على خالد ابن عبد الله القسري بعد حجاب شديد، وكان عتبة سخيا، فقال خالد يعرض: "إن ها هنا رجالا يدّانون في أموالهم، فإذا فنيت أذانوا في أعراضهم. فعلم القرشي عتبة بن عمر أنه يعرض به، فقال: "أصلح الله الأمير، إن رجالا من الرجال تكون أموالهم أكثر من مروءاتهم، فأولئك تبقى لهم أموالهم، ورجالا تكون مروءاتهم أكثر من أموالهم، فإذا نفذت أذانوا على سعة ما عند الله!" فخرجل خالد وقال: "إنك لمنهم ما علمت"⁽²⁾.

(1) البيان والتبيين: 2 / 140.

(2) المصدر نفسه: 2 / 140 - 141.

المبحث الخامس

الخطب الحربيّة

سنتناول في هذا المبحث قسما من الخطب وهو الخطب الحربيّة، وهي خطب يلقيها القادة بين يدي الجند إذا أرادوا الحرب، أو والجهاد، وما يتعلق به، ويغلب عليها استنهاض الهمم، وحث المقاتلين على القتال، وأنهم أصحاب حق في ما يطلبون، وأنّ النصر قريب منهم إن هم ثبتوا، ويأمرهم بالشكر لله تعالى والابتغال إليه إذا انتصروا، وينهاهم فيها عن الظلم والغرور، وفيما يأتي توضيح لهذا النوع من الخطب:

المطلب الأول: خطبة الحرب والجهاد:

- 1- تعريفها:
هي الخطب التي يلقيها القائد في جيشه بين يدي المعركة، أو عند التجهيز لها؛ ليثبت قلوبهم، ويلقي الحماس في نفوسهم، ويدفعهم فيها إلى حياة كريمة، أو موت عطر الذكر.
- 2- أهميتها:
لهذا النوع من الخطب أثر عظيم في الحروب فهو الذي يقوي روح الجنود المعنوية التي لها الأثر العظيم في تحقيق الانتصارات.
- 3- مضمونها:
أ- حضّ الناس على الجهاد، ورفع حماسهم، وترغيبهم فيما عند الله للمجاهدين من ثواب ونعيم.
ب- بيان شرف الغرض الذي من أجله يحاربون، ويتقدمون إلى مواطن الردى حيث تخضب الأرض بالدماء، فإن كانت الحرب دفاعا عن وطن في خطر يبين ما في السكون من ذلة وعار ودمار، وإن كان يدافع عن عقيدة بين ما في الخذلان من نشر الفساد وما في الانتصار من إقامة الفضيلة
ت- تحذيرهم من الفرار والتولي يوم الزحف، وبيان الأثر الحسن لمن يتقدم لهذا البلاء بثبات جأش وقوة جنان، فيفوز بإحدى الحسنين: النصر أو الشهادة، وكلاهما مطلب أسعى للمؤمنين.

ث- بيان انه لا يستأثر بنفسه عنهم، فيأمر بالقتال ولا يقا تل هو، بل انه يتقدمهم يوم اللقاء والزحف ليكون له منهم القدوة الحسنة⁽¹⁾.

4- صفتها:

ينبغي أن تكون الخطبة بصوت جهوري رزين، قوي النبرات، وعباراتها حماسية نارية تلهب الإحساس بالحمية والرغبة في اللقاء، وألفاظها تثير الآمال وتسمو بالخيال إلى مواطن الشرف والنصر في نفوس الجنود، ويستحسن فيها الإيجاز، فإن الألفاظ الموجزة تحفظ وتطبع في ثنايا النفس، وقد أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه عندما أرسله على رأس جيش: أن يوجز الخطبة في الجند، حتى لا ينسي الكلام بعضه بعضا⁽²⁾.

5- مثالها:

من أمثلتها: لما نزل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بهرسير -وهي المدينة الدنيا- طلب السفن ليعبر بالناس إلا المدينة القصوى "على نهر دجلة"؛ فلم يقدر على شيء ووجدهم قد ضموا السفن؛ فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال:

"إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر، فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا، فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه؛ فقد كفاكموه أهل الأيام، وعطلوا ثغورهم، وأفنوا ذاتهم. وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم

قبل أن تحصركم الدنيا؛ ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم".

فقالوا جميعاً: عَزَمَ اللهُ لنا ولك على الرشد فافعل، واقتحم دجلة وفتح المدينة القصوى (سنة: 16 هـ)⁽³⁾.

مثال آخر: خطب عبدالرحمن الداخل بجيشه لما اشتد الكرب بين يديه يوم حربه مع يوسف الفهري، ورأى شدة مقاساة أصحابه، قال: "هذا اليوم هو أس ما يبني

(1) ينظر: الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 210.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 211.

(3) تاريخ الطبري: 9/ 4.

عليه، إما ذل الدهر وإما عز الدهر، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون تريحوا بها بقية أعماركم فيما تشتهون" (1).

المطلب الثاني: خطبة الفتح:

1- تعريفها: هي الخطب التي يلقيها الخلفاء، أو القادة، أو الفرسان، عندما

يفتح الله للمؤمنين بلدا من البلاد

2- مضمونها:

1. الابتهاال إلى الله تعالى وشكره على النصر والفتح.

2. تذكير الجند بفضل الله عليهم.

3. نصيحة الجند في الابتعاد عن الظلم، وترك الغرور، وأن الواجب هو التواضع

لله فإنه هو الذي نصرهم.

4. يرثى فيها من استشهد من المؤمنين.

3- أمثلتها:

من أمثلتها: خطبة النبي ﷺ يوم فتح مكة، قال أبو هريرة: مَا فَتَحَ اللَّهُ عَزَّ

وَجَلَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، قَامَ فِي النَّاسِ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثَمَى

عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَن مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهَا

لَنْ تَجِلَّ لِأَحَدٍ كَانَ قَبْلِي، وَإِنَّهَا أُجِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَنْ تَجِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي،

فَلَا يَنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا تَجِلُّ سَاقِطُهَا إِلَّا الْمُنْشِدِ، وَمَنْ قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ

فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يُفَدَى، وَإِمَّا أَنْ يُقْتَلَ"، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إِلَّا الْإِذْخِرَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي قُبُورِنَا وَبُيُوتِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا

الْإِذْخِرَ» فَقَامَ أَبُو سَاهٍ - رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ - فَقَالَ: اكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اكْتُبُوا لِأَبِي سَاهٍ»، قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلْأَوْزَاعِيِّ: مَا

1 نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب: 3 / 42.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

قَوْلُهُ: اَكْتُبُوا لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هَذِهِ الْخُطْبَةُ الَّتِي سَمِعَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»⁽¹⁾.

وبهذا تمّ الفصل الثالث "أنواع الخطب" ويليه إن شاء الله تعالى الفصل الرابع "المستمعون".

(1) متفق عليه: صحيح البخاري: 9 / 5 ، برقم: 6880 ، وصحيح مسلم: 2 / 988 ، برقم: 1355.
وهذا لفظ مسلم.

الفصل الرابع

المستمعون

نتناول في هذا الفصل أهم ما يجب على الخطيب وينبغي عليه مراعاته تجاه المستمعين، في خطبته، وموضوعاته، فذكرنا فيه جملة من هذه المشتركات مما تيسر لنا معرفته والوقوف عليه، ونحسب أنّها من أهم المشتركات التي يجب على الخطيب أن يتحلى بها تجاه المستمعين؛ لتكون خطبه مقبولة، ودعوته ناجحة، ويسلم هو من الاثم، ومن مخالفة السنّة:

المبحث الأول

حال الخطيب مع المستمعين

ولم نرد أن نتناول حال المستمعين أنفسهم، فهذا أمر يطول فيه الكلام بما يبتعد عن مضمون رسالة في الخطابة، وموضوعها، وغايتها؛ إذ المستمعون هم الناس جميعاً، وإنّ الذي يتعلّق بموضوع الرسالة هو القدر المشترك بينهم وبين الخطبة، ومن أهمّها:

المطلب الأول: الاعتدال في الخطاب:

1- مراعاة الخطيب لحال المستمعين: ينبغي أن لا يغيب عن بال الخطيب أنّ السامعين يختلفون، ففيهم العالم، وفيهم الجاهل، وفيهم العامي، وفيهم الأمير والوزير، فيكون الخطيب فيهم كالمتمرس، إذ عليه أن يعلم مبلغ طاقاتهم، وقدر استيعابهم وإقبالهم على الانتفاع، فيعطيهم ما يتحملون، ويمسك عما لا يطيقون، ويوجز عند خشية السامة. وقديماً قيل: " من لم ينشط لكلامك فارفع عنه مؤنة الاستماع منك " والناس لا يعدم أن يكون فيهم ذكي محتاج إلى الزيادة، وقاصد يكتفي بالقليل، فإن لم يراعِ الخطيب حال الناس، سيضجر الذكي ويعجز القاصر، ومن هذه حال الناس معه ملّوه وملّهم، وأشار الإمام أحمد إلى كراهته، فقال: " لا أحب أن يملّ الناس ولا يطيل الموعظة إذا وعظ " (1).

(1) الآداب الشرعية: 2 / 86.

وروي عن ابن السماك أنه "جلس يوماً للوعظ وجاريتته تسمع كلامه، فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده. فقال: أردده كي يفهمه من لم يفهمه. فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه، قد ملّهُ من فهمه" (1).

وعلى هذا فإنّ مراعاة الخطيب لأفهام الناس وعقولهم من أهمّ ما ينبغي أن يدركه كلُّ خطيب، وقد بَوَّب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه باباً في هذا المعنى، فقال: "باب من خصّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ثمّ أردف قول عليّ: حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله" (2).

وعند الإمام مسلم رحمه الله في مقدمة صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "ما أنت بمُحدّث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة" (3).

فأفضل الخطباء وأحذقهم من يكون له تصوّر ذهنيّ صحيح عن المستمعين قبل أن يُواجههم في خطبته، وتكون في ذهنه صورة بيّنة لما يريد أن يقوله، وأن يعلم أن لكلّ قوم خطاباً يناسبهم، ويكون أنفع لهم، فالعامّة يختار لهم العبارات السهلة الواضحة؛ حتّى لا تعلقوا على أفهامهم، ولا تسموا على مداركهم، والعلماء يخاطبون بعبارات منتقاة دقيقة محكمة، ويحلّي الكلام ببعض الأساليب والاصطلاحية العلميّة.

والمتديّنون يستشهد لهم بشواهد من الدين، ويحلّي الكلام باقتباس الكتب المنزلة والآثار، وكلام العلماء، والذين شغفوا بأثار الأقدمين يُزيّن الكلام ببعض أمثالهم وقصصهم وحكمهم، والمأثور عنهم (4).

2- مراجعة الخطبة أو الكلام قبل التحدّث: يجب على الخطيب أو أن يراجع نفسه قبل الكلام؛ ليطمئن اطمئناناً كاملاً إلى صحّة القضايا التي سوف يعرضها، وإلى سلامة آثارها النفسيّة والاجتماعيّة، وعليه أن يتثبت من الأدلة والشواهد التي يسوقها في معرض الحديث، فإن كان قرآناً حفّظه جيّداً، وإن كان سنّة رواها بدقّة،

(1) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: 6 / 2.

(2) فتح الباري: 1 / 304.

(3) مقدمة صحيح مسلم، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع: 1 / 11.

(4) الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب: 132.

وإن كان أثرًا أدبيًا أو خبرًا تاريخيًا فإن توفيقه يكون بحسن مطابقته أو اقتباسه من الأصل المنقول عنه (1).

3- التدرج بالتعليم: فلا يبدأ الخطيب مع المستمعين من حيث انتهى هو، بل الواجب يبدأ معهم من حيث ابتدأ هو، فإن النفس تأنف الرجوع عن أشياء كثيرة تطبعت بها، وتحتاج قوّة في الإيمان، وثباتا على التوبة والاستقامة حتى تطلع عمّا كانت ألفته وهو منكر، ويبدأ بالأهمّ فالمهمّ، ويعلمهم صغار العلم قبل كباره، قال الله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ} (2)، ومعنى قوله: {رَبَّانِيِّينَ}، "الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يَرِي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ" (3).

4- عدم الابتعاد عن واقع الناس: مما يُزري بالخطيب ويُضيع موعظته أن يكون في وادٍ والناسُ والزمانُ والمكانُ في وادٍ آخر؛ فهناك بين الخطبة والأحداث العابرة والملابسات المحيطة والمستمعين علاقة لا يمكن تجاهلها، ولأمر ما نزل القرآن مُنَجَّمًا على ثلاث وعشرين سنة، فقد تجاوب مع الأحداث وأصاب مَوَاقِعَ التوجيه إصابة رائعة.

ولمّا كان القرآن شفاءً للعلل الاجتماعية الشائعة، فإنّ الخطيب يجب عليه أن يُشخّص الداء الذي يواجهه، وأن يتعرّف على حقيقته بدقّة، فإذا عرفه واستبان أعراضه وأخطاره رجع إلى الكتاب والسنة فنقل الدواء إلى موضع المرض، وذلك يحتاج إلى بصيرة وحذق، فإن الواعظ القاصر قد يجيء بدواء غير مناسب فلا يُوفّق في العلاج، وربما أخطأ ابتداءً في تحديد العلة فتخلوا خطبته من الفائدة الإصلاحية، والنفع التوجيهي، وإن كانت تتضمن مختلف النصوص الصحيحة (4).

(1) ينظر: مائة سؤال عن الإسلام، فضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي: 381.

(2) آل عمران: 79.

(3) صحيح البخاري: 1 / 25.

(4) ينظر: مائة سؤال عن الإسلام، فضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي: 380.

5- التبشير والتيسير: مما يتعيّن على الخطيب أن يتّسم بالبشر، وتبشير الناس بالخير، وترغيبهم فيه، وعدم التشديد فيما رخص فيه الشرع، وعدم تأييس الناس وتقنيطهم من رحمة ربهم، ففي هذا إهلاك لهم، وفتنة في دينهم، فالحذر أشدّ الحذر من ذلك، عن معمر عن ابن خثيم عن عبد الله بن عياض قال دخل عبيد بن عمير على عائشة فسألت: من هذا؟ فقال: أنا عبيد بن عمير. قالت: عمير بن قتادة؟ قال: نعم يا أمّته. قالت: أما بلغني أنّك تجلس وتجلس إليك؟ قال: بلى يا أمّ المؤمنين، قالت: فإياك وتقنيط الناس وإهلاكهم" (1).

6- اجتناب المجازفة في أحاديث الترغيب والترهيب: لا يخفى أنّ هناك طائفة من الأحاديث تسوق الأجر الكبيرة على الأعمال الصغيرة، وقد قرّر العلماء المحقّقون أنّ هذه الأحاديث ليست على ما يفهم منها لأول وهلة، وأنّ ما فيها من أجور كبيرة إنّما هو لأهل الشرف في العبادة، وأهل الصدق في الإقبال على الله تعالى، وليس ذلك للأعمال الصغيرة التي اقتربت بها، ومن هنا لا يجوز للخطيب أن يضمن خطبته هذه الأحاديث سردًا مجردًا، فيحدث فوضى في ميدان التكليف الشرعية، ولكن إذا اقتضى ظرف ذكر هذه الأحاديث ذكرها مع شروحها الصحيحة (2)؛ فإنّ من السنّة كتم بعض العلم عن عوامّ الناس خشية عليهم من الاتكال وترك العمل أو الافتتان، كما في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال له النبي صلى الله عليه وآله: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ»، قَالَ: أَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَكَلَّبُوا» (3). فنهاه أن يبشّر الناس بهذا الحديث؛ لكنّ المتعيّن هنا أنّ "النهي للمصلحة لا للتحرّيم فلذلك أخبر به معاذ لعموم الآية بالتبليغ والله أعلم" (4)، ومن فوائد هذا الحديث: "جواز كتمان العلم للمصلحة" (5)؛ فينبغي للخطيب أن يراعي هذا الأمر، ولا يغفل عنه في خطبه، قال الحافظ ابن حجر: "وممن كره التحدّث ببعض دون

(1) مصنف عبدالرزاق: 3 / 216.

(2) ينظر: مائة سؤال عن الإسلام: 380.

(3) متفق عليه: صحيح البخاري: 1 / 38، برقم: 129، وصحيح مسلم: 1 / 58، برقم: 30.

(4) فتح الباري لابن حجر: 1 / 228.

(5) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: 28.

بعض: أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة رضي الله عنه في حفظه من العلم وعاءين، وأنَّ المراد ما يقع من الفتن، ونحوه عن حذيفة رضي الله عنه، وعن الحسن أنه أنكر تحديث أنس للحجاج بقصة العرنيتين؛ لأنه اتخذها وسيلة إلى ما كان يعتمد منه من المبالغة في سفك الدماء بتأويله الواهي " (1) ، ثم بين الحافظ ابن حجر رحمه الله ضابط هذه المسألة فقال: " وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراد، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله أعلم " (2) .

المطلب الثاني: رحمة المستمعين واحتواؤهم:

مما يتعيَّن على الخطيب ويجب عليه الحرص على رحمة المستمعين واحتواءهم، وعدم تنفيرهم، أو الحكم عليهم بلا مسوغ، وكما قيل: "نحن دعاة لا قضاة" وهكذا ينبغي أن يكون الخطيب، وأن يستشعر هذه المسؤولية ويجعلها من الأولويات الضرورية له مع المستمعين، ومن أهم ما يجب في هذا المضمار:

1- تجنُّب التحريش: مما يجب على الخطيب تجنب التحريش، وأن يتعد كل البعد عن جعل خطبته تحريشاً شخصياً، أو تهجماً سياسياً، أو تعليقاً مقصوداً على الأحداث العابرة، فإنَّ المساجد لم تُبنَ لشيء من هذا، وإنما شرعت الخطبة لذكر الله تعالى، كما جاء في القرآن الكريم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} (3) ، والذكر المقصود ربطُ الناس برهم من خلال النظر في آفاق الكون وشؤون الناس، كما وضح القرآن الكريم ذلك، فقال الله تعالى: {سُرِّبَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (4) .

(1) فتح الباري: 1 / 304.

(2) فتح الباري: 1 / 304.

(3) الجمعة: 9.

(4) فصلت: 53.

وكانت أكثر خطب رسول الله من القرآن الكريم؛ ولذلك لم تُحفظ عنه خطب من كلامه. عليه الصلاة والسلام. إلا على نُذرة، وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: ما أخذتُ: {ق والقرآن المجيد} حفظُها إلا من لسان رسول الله. صلى الله عليه وسلم. يوم الجمعة. يقرأ بها على المنبر في كل جمعة كانت قد شهدتها، والمفروض أن خطبة الجمعة كانت نحو خمسمائة مرة بعد هجرته عليه الصلاة والسلام.⁽¹⁾

2- حذر الخطيب من تنصيب نفسه قاضيا ومحاسبا للناس: يذهب الحرص الشديد، أو الحماس، أو العجب ببعض الخطباء حتى يرى نفسه مقام القاضي على الناس، والمحاسب لهم، فيصدر منه التفرع وفضاظة القول، والنقد المباشر، وهذا كله خلاف السنة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: {فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ} ⁽²⁾، وقال سبحانه: {فَدَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ} ⁽³⁾.

والإنسان غير معصوم من الزلل إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والوقوع في الذنب من طبع البشر، وقد بيّن الرسول ﷺ ذلك في قوله: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُدْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذُنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» ⁽⁴⁾، فعلى كل خطيب أن يحسن تناول موضوع خطبته بالأسلوب الحسن، والحكمة، فالشأن مع العاصي والمخطئ ليس الحكم بفسقه أو تكفيره، بل في دعوته إلى التوبة، وبيان وجه الخطأ الذي وقع فيه، فإنما نحن دعاة ومبينون ولسنا قضاة وحاكمون، وهذا كله شاهد على أن التيسير والتسامح في الإسلام أصل أصيل، وسمة بارزة لهذا الدين، وظهرت ثماره لما دخل الناس في دين الله أفواجا نتيجة لهذه السماحة ⁽⁵⁾.

(1) ينظر: مائة سؤال عن الإسلام: 384.

(2) الشورى: 48.

(3) الغاشية: 21 - 22.

(4) صحيح مسلم: 4 / 2106، برقم 2749.

(5) ينظر: منبر الجمعة أمانة ومسؤولية: 32.

3- التقرير والنقد المباشر: ممَّا يحزُّ في النفس أن تجد خطيباً يجتمع الناس بين يديه في الجمعة راغبين، غير راغبين، ولا مجبرين، وهو مع ذلك يقرِّعهم ويوبخهم وكأنَّه قد خلا ممَّا حذرهم منه، وربَّما وُجد بينهم من هو أتقى منه، وأخشى لله عزَّ وجلَّ، وهذا الأسلوب مخالف لهدي القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ فالواجب على كل من يتصدَّر لخطبة الجمعة أن يتَّبِع منهج الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والكلام اللين الذي يتألف القلوب والأسماع وأن يتجنَّب التقرير وفضاظة القول، فإنَّ ذلك سبيل العاجز، الذي لا يحسن الإقناع، ولا القول الصائب والأدب الرفيع، ممَّا يؤدي إلى نفور الناس عن سماعه، والإصغاء إلى قوله، ولا بُدَّ لكل خطيب أن يكون رائده في الإرشاد والتذكير قول الله سبحانه: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (1).

وقوله تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ} (2).

فإن اللين بالموعظة، والتلطُّف بالخطاب يجعل الخطيب قريباً من قلوب سامعيه، ويمنحه القدرة على أن ينفذ خطابه إلى أعماق قلوبهم، ويؤثِّر في نفوسهم، وذلك هو ما أوصى به الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسوله - عليهم الصلاة والسلام - عند تبليغهم رسالاته، وإرشادهم الناس إلى الحق، كقوله تعالى لموسى وهارون عليهما الصلاة والسلام: {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} (3).

وهكذا فعل النبي ﷺ في كتابه إلى هرقل، فقال في مطلعته: «من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم» (4)، فوصف هرقل بالعظيم وهو مشرك، انطلاقاً من الحكمة والموعظة الحسنة التي أمره الله سبحانه بها.

4- الطريقة الأنفع في النقد:

(1) النحل: 125.

(2) آل عمران: 159.

(3) طه: 43 - 44.

(4) متفق عليه: صحيح البخاري: 1 / 8، برقم: 7، وصحيح مسلم: 3 / 1393 - 1393، برقم 1773.

إذا وجد الخطيب نفسه مضطرا إلى الإنكار على فئة من الناس، فليس من حقه أن يوجه التقرير إلى أناس معينين، بل يلمح، ويعمّم النقد، ولا يخصّصه، ويستر ولا يفضح، توخيا لعدم إثارة الفتنة، فالواجب هو اتباع هدي النبي صلى الله عليه، فكان من هديه عند حصول مخالفة من المخالفات أن لا يسمي المخطئ، بل يسمي الخطأ، كقوله عليه الصلاة والسلام: «ما بال أقوام يتزّهون عن الشيء أصنعه؟ ! فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدّهم خشية»⁽¹⁾، وهذا درس لكلّ خطيب، وداعية، وناصح يجب عليه إذا أراد أن ينبّه على مخالفة شرعية شائعة أن لا يويخ الناس بأسلوب يستفزّ مشاعرهم، ويؤذي كرامتهم؛ لأنّ هذا الأسلوب لا يتفق مع أدب الخطاب، وحسن الحديث، بل هو ضرب من سوء الأدب وعدم احترام المنبر، وهجوم سافر يتنافى مع طبيعة الوعظ وخصال الإرشاد⁽²⁾، وفوق هذا هو مخالف للكتاب والسنة وكفى به شرا وإثما أن يخالف القرآن والسنة، فالله أمر موسى وهارون عليهما السلام بالقول اللين لفرعون، وأمر نبينا ﷺ وأمته من بعده بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ممّا لا يدع مكانا للإعراض والنفور في نفوس المستمعين..

(1) متفق عليه: صحيح البخاري: 8 / 26 ، برقم: 6101 ، وصحيح مسلم: 4 / 1829 ، برقم 2356.

(2) ينظر: منبر الجمعة أمانة ومسؤولية: 28 - 32 .

المبحث الثاني

التجديد في الخطابة

تقدّم في بداية هذا الكتاب أنّ الخطابة تمرُّ بمرحلة من الضعف والانحسار، وأنّ الاهتمام بها أصبح قليلاً، سواء في الجامعات والمعاهد، أو عند العلماء والمدرسين، وغلب عليها التقليد والتكرار، وضعف التأثير في المستمعين، وهذا يحتم علينا أن نسعى جاهدين إلى التجديد في الخطابة، والعلم على إعداد جيل من الخطباء الناجحين الذين تسترّد بهم الخطابة عافيتها، ويؤدون الواجب عليهم بصورة صحيحة مقبولة، ويؤدّون الواجب كما ينبغي؛ لينعم المجتمع بثمار هذا النجاح، وفيما يأتي توضيح لهذا:

المطلب الأول: محاور مهمّة في الخطب:

هناك جملة من الموضوعات، والمحاور ينبغي للخطيب أن يجعلها أساسية في خطبه، ومنها ما يكون اجتنابه واجباً، فينبغي اجتنابها وعدم التساهل فيها؛ حتى تكون خطبا مثمرة، ويكون لها أثر في إصلاح المجتمع، ولا يبتعد عنها، بل يجعل معظم خطبه مرتبطة بهذه المحاور؛ لغرسها في نفوس المجتمع، وخاصّة الناشئة منهم، وأهمُّ هذه المحاور:

1- غرس العقيدة الصحيحة والمنهج الحقّ في النفوس: وذلك بإعطائهما حقّهما في الخطب، بالبيان والتوضيح، وطرق مسامع الناس بموضوعاتهما العقيدة خاصّة أركان الإسلام، وأركان الإيمان، ومعرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته، وحقوق النبي ﷺ على أمته، ومكانة سنّته، وفضل صحابته ومكانتهم، وضرورة التمسك بطريقهم، والتزام فهمهم للكتاب والسنة، فهذا هو روح الدين وأساسه وركنه المتين، وإني والحمد لله منذ سنين أسير على هذا النهج في كل عام أجعل سلسلة ثلاث خطب إلى أربعة عن الأصول الثلاثة بشرح موجز يتناسب مع الخطبة، وألفاظ مبسطة يفهمها الجاهل، ويتذكر بها العالم، ثمّ بعدها بمدّة أبدا بسلسلة من ثلاث إلى أربع خطب عن معنى الشهادتين وشروطهما، وحقوق النبي ﷺ على الأمة، ثمّ بعدها بمدّة أبداً بسلسلة أطول أتناول فيها شرح أركان الإيمان السنّة، ثم بعد مدّة أتناول سلسلة رابعة أعرض فيها أهم أبواب "كتاب التوحيد الذي هو حق الله على

العبيد"، أو من مختصري له "تحفة المرید بمعرفة التوحيد"، وإني أجد أثر ذلك في نفسي قبل المستمعين من تجديد الإيمان، وقوته، وانسراح الصدر وسعادة النفس والحمد لله رب العالمين. وأملني بإخواني الخطباء أن يهتموا بذلك، ويحرصوا عليه، فهذا هو أهم ما نعلمه للناس وندعوهم إليه، وقبل ذلك هو دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو الأمر الذي خلقنا له، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} *⁽¹⁾.

2- الحرص على التربية الدينية: وذلك ببيان الجوانب الخُلُقِيَّة والاجتماعيَّة في الإسلام، وشرح ما يقترن بالخير والشرِّ من مَعَانِي حسنة أو سيئة، ومن عواقب حميدة أو ذميمة، واقتران ذلك بالأجزية الأخرويَّة وعَرَضِ ما أَعَدَّه الله في الآخرة للأبرار والفجَّار، بيِّد أن الإسهاب والتفصيل في ذكر الأجزية المُغَيَّبَة لا لزوم له، ويكتفى بالإلماح إلى ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة عن ذلك دون تطويل وتعمق⁽²⁾.

3- ربط الناس بتاريخ أمتهم وأمجادها: فإنَّ من الخير أن تتضمن خطبة الجمعة أحياناً شيئاً من أمجاد المسلمين الأوَّلين الثقافيَّة والسياسيَّة، وتَنوِيهاً بالحضارة اليانعة التي أقامها الإسلام في العالم، مع الإشارة إلى أنَّ ينابيع هذه الحضارة تَفَجَّرت من الحركة العقليَّة التي أَحَدَّتْهَا القرآن الكريم والسنة النبويَّة، واليقظة الإنسانيَّة التي صنعها الرسول ﷺ، ويكون الغرض من هذه الخُطْب على اختلاف موضوعاتها، أن تُرجع إلى المسلمين ثقمتهم بأنفسهم ورسالتهم العالميَّة⁽³⁾.

4- التحذير من الفرق المخالفة للكتاب والسنة ومنهج السلف رضي الله عنهم وأرضاهم: فإنَّ هناك فلسفاتٍ أجنبيَّةً ونزعاتٍ إلحاديَّةً تَسَرَّبت إلى الأمة الإسلاميَّة في كُبوَّتْها التاريخيَّة الماضيَّة، وطبيعيُّ أن تتعرض الخطبة لِذُود هذه المخالفات الدينيَّة والمفاسد النفسيَّة عن أبناء الأمة، ووظيفَةُ الخطبة في الإسلام عندئذٍ أن

(1) الذاريات: 56 - 58.

(2) ينظر: مائة سؤال عن الإسلام، فضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي: 380.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 381.

تتجنَّب الأخذ والردُّ والجدال السيِّء، ولكنَّ تُعْرِض الحقائق الإيجابية في الإسلام بقوة وتُرَدُّ على الشبهات، دون عناية بذكر مصدرها؛ لأنَّ المهمَّ هو حماية جناب الشريعة، وتصفية الدين ممَّا أُدخل فيه وهو ليس منه، وحفظ التراث الروحيِّ والعلميِّ، وليس المهم تجريح الآخرين وإلحاق الهزائم بهم⁽¹⁾.

خطبة نهاية العام:

اعتاد كثير من الخطباء الحديث في آخر جمعة من العام عن الهجرة وما فيها من الفوائد والعظات، وهذا أمر فيه فوائد عظيمة غير أنَّ تخصيصه بآخر العام عليه ثلاثة مآخذ، هي:

المأخذ الأول: مأخذ تاريخيِّ.

يؤخذ على هذا التخصيص أنَّه خطأ تاريخي؛ لأنَّ هجرة النبي ﷺ إنما كانت في شهر ربيع الأول بعد مضي ثنتي عشرة ليلة منه في يوم الاثنين كما ذكر ذلك الطبري في تاريخه⁽²⁾.

والذي ابتدأ التاريخ على الصحيح هو عمر بن الخطاب ﷺ سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة من الهجرة حينما احتاجوا إلى التاريخ، فاستشار الصحابة فقال بعضهم: من مبعثه، وقال آخرون: من مهاجره، فقال عمر ﷺ: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فارضوا بها.

ثمَّ اختلفوا من أيِّ شهر يكون ابتداء السنة، فقال بعضهم: من رمضان، لأنه الذي فيه أنزل القرآن، وقال آخرون: بل من ربيع الأول وقت مهاجره، واختار عمر وعثمان ﷺ أن يكون من المحرم؛ لأنَّه شهر حرام يلي شهر ذي الحجة الذي يؤدي المسلمون فيه حجَّهم الذي به تمام أركان دينهم، فكان ابتداء السنة الإسلاميَّة الهجريَّة من شهر الله المحرم⁽³⁾.

(1) ينظر: مائة سؤال عن الإسلام، فضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي: 381.

(2) ينظر: تاريخ الطبري: 2/393.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 2/393.

فتخصيص الخطبة عن الهجرة بنهاية العام يوهم المستمعين أنّ الهجرة وقعت في هذا التاريخ، والواقع أنّ كثيراً من الناس يظنون ذلك بسبب كثرة الخطب عنها في هذا الوقت، ويجهلون جهالة تامة أنّها كانت في شهر ربيع الأول، بل لربّما أنكر بعضهم هذا الأمر بداهة.

المأخذ الثاني: خطأ حسابي:

يستغل بعض الخطباء نهاية العام وحادث الهجرة للتذكير بالمحاسبة على هيئة الالتزام بذلك في نهاية كل عام، والذي يظهر أنّ نهاية العام أمر نسبي يختلف من شخص لآخر، فكل شخص ينتهي عامه بتمام سنة من تاريخ ولادته أو من وقت بلوغه سنّ التكليف إذا كان الحديث عن المحاسبة، فضلاً عن كون المحاسبة غير مختصة بنهاية كلّ عام، فإنّ المرء مأمور بالتوبة والمحاسبة في كل يوم من أيام حياته، بل إنّ تخصيص الحديث عن المحاسبة في هذا الوقت يوقع في أنفس الناس أنه هو وقت المحاسبة الحقيقي دون غيره من أيام السنة، وهذا ليس بصحيح وفيه لبسٌ واضح.

المأخذ الثالث: خطأ منهجي:

إنّ توقيت نهاية العام بالخطبة عن هجرة النبي ﷺ قد يكون سبباً في فهم بعض الناس أن هذا يوم احتفال بهجرته بدليل أن جلّ الخطباء يتحدثون عنه، بل يكادون يجمعون عليه، وفي هذا مدخل لأهل البدع الذين ينكر عليهم أهل السنة تخصيص يوم معين للاحتفال بمولده ﷺ أو ما شابه ذلك، فأدّى التزام خطبة نهاية العام عن الهجرة إلى فهم خاطئ، وكلّ شيء أدّى إلى فهم خاطئ ينبغي تركه أو التنبيه إليه أو على الأقل عدم المواظبة عليه لئلا يفضي إلى الابتداع والتمسك به من قبل أهل البدع احتجاجاً به على بدعهم⁽¹⁾، قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله: " وكل شيء يوجب أن يفهم الناس منه خلاف حقيقة الواقع فإنه ينبغي تجنبه "⁽²⁾. والعلم عند الله تعالى.

(1) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 58 – 59.

(2) الشرح الممتع على زاد المستقنع: 5/ 66.

المطلب الثاني: فقه الخطيب وحكمته في الدعوة:

لا بدّ للخطيب أن يكون فقيهاً في دعوته عارفاً كيف يعالج الأخطاء، عالماً بما يأتي وما يدع، ومن أهمّ ما يحتاج من الخطيب فقهها جيداً:
أولاً: معالجة المنكر بدفعه قبل وقوعه:

على الخطيب أن يحرص جاهداً حينما يشعر أن هناك أمور يخشى من وقوعها في المجتمع، أو من زيادة خطرهما بعد الوقوع، أن يطرحها في خطبة قبل تفاقمها، وأن يحذر من مغبة الوقوع فيها، وهذه المبادرة تعدّ أمراً مهماً مبنياً على قاعدة فقهية مشهورة وهي: "الدفع أولى من الرفع"؛ لأنّ مدافعة الشيء قبل وقوعه تكون من حيث السهولة وقلة المؤنة وضلالة المفسدة ما لا تكون بعد وقوع الشيء ورجحان مفسدته، ولقد أحسن الشاعر حين قال:

إِذَا لَمْ يَغْبِرْ حَائِطٌ فِي وَقُوعِهِ فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْوُقُوعِ غُبَارٌ

وهكذا هي الأشياء تكون في بداية الأمر صغيرة الحجم، يقل الاكتراث بها، فلا تزال تزداد، وتتفاقم حتى تعظم على الناس فيصعب التخلص منها.

يقول الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: "إذا حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة، فلفقت لها شبهةً وثبّت لها كلاماً مؤلفاً صار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذوناً فيه".⁽¹⁾

فهو رحمه الله يشير إلى أنّ البدع والمنكرات تبدو أول وهلة مستحقة لا يلتفت إليها، حتى تستفحل فتكون كالمسلمات، ومما لا يمكن درؤه إلا بعد مجاهدة وتعب شديد. ثم إنّ مثل هذه الأمور إذا لم يسارع الخطباء في بيانها والتحذير منها إن كانت خطراً، أو الدعوة إليها إن كانت واجباً؛ فإنّ أثر هذا التأخير سيتفاقم حتى يصعب رفعه، فحينئذ يتسع الخرق على الراقق، وفي مثل هذا يقول الأوزاعي: "لقد كان أهل الشام في غفلة من هذه البدعة، حتى قذفها إليهم بعض أهل العراق ممن دخل في تلك

البدعة بعدما ردّها عليه علماؤهم وفقهاؤهم" (1)، أي: لما تصدّى الفقهاء لهذه البدعة خفتت، ولمّا سكّت عنها فقهاء الشام وجدت مكانا في قلوب بعض الناس..

ثانيا: الهدي النبويّ في النذارة أو البشارة:

لقد كان من هدي النبيّ ﷺ النذارة أو البشارة قبل وقوعها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله عز وجل: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (2). أتى النبيّ ﷺ الصفا فصعد عليه، ثمّ نادى: «يا صباحاه» فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيء إليه، وبين رجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: «يا بني عبد المطلب، يا بني فهر، يا بني لؤي، أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل، تريد أن تغير عليكم، صدقتموني؟» قالوا: نعم. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»... الحديث (3). فهذا دليل واضح على استعمال النذارة أو البشارة قبل وقوعها، وذلك بيان الأمور والدعوة إليها إن كانت خيراً أو التحذير منها إن كانت شراً، قبل أن تقع وتنتشر؛ فيكون رفعها صعباً، أو متعديراً في بعض الأحيان (4).

ثالثاً: إحياء بعض السنن:

قد يجتهد بعض الخطباء فيما يتعلق بالخطبة من السنن والأحكام، في الفعل أو الترك، وفي هذا ينبغي عليه مراعاة حال الناس، والحكمة في التصرف، والتمهيد لذلك، فالناس أعداء ما جهلوا، وهذا الاجتهاد يكون أحد أمرين:

الأمر الأول:

أن يجتهد الخطيب في ترك سنّة من السنن المشهورة في الخطبة، كأن يترك الحمد والثناء على قول مَنْ يقول ليس للخطبة أركان، أو أن يترك الجلسة بين الخطبتين فيبقى واقفاً، أو أن يجعل الخطبة واحدة، ولا يفصل بينهما على مذهب من يقول: إنّ الخطبتين سنة.

(1) الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني: 1 / 102.

(2) الشعراء: 214.

(3) صحيح البخاري، تفسير سورة سبأ، برقم: 4801، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، برقم: 208.

(4) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 59 – 62.

الأمر الثاني:

إحياء سنّة غفل عنها الناس، أو جهلها أكثرهم من حيث أصل الخطبة، كأن يجعل خطبة الاستسقاء قبل الصلاة مثلاً بناء على ما ثبت في صحيح مسلم.

وهذان الأمران يختلف القول فيهما بحسب الحال:

فإن كان الشيء الذي تركه الخطيب، أو عمل به في الخطبة مما يجهله عامة الناس، أو كان حينما يفعله الخطيب سبباً للإنكار واللغظ بين جمهور المصلين، فالأولى للخطيب أن يراعي ذلك أشدّ المراعاة، وذلك بالتوطئة السابقة للفعل، والتمهيد له حتى يعلم الناس حكم هذه المسألة، ومن ثمّ لا جرم في فعلها حتى يقلّ الإنكار إن لم ينقطع بالكلية.

وهذا معروف عند أهل العلم وهو مراعاة أحوال الناس، فإنّه يستحبّ ترك المستحبّ أحياناً إن أدّت المواظبة عليه إلى الظنّ أنه واجب، فإنّها تترك أحياناً لبيان عدم الوجوب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن المواظبة على قراءة سورتي السجدة والإنسان في صلاة الفجر كل جمعة وهو مستحبّ: " ولا ينبغي المداومة على ذلك لئلا يظنّ الجاهل أن ذلك واجب، بل يقرأ أحياناً غيرهما من القرآن " (1)، وقال نحوه ابن القيم (2).

وكذلك في صلاة الجمعة يستحبّ قراءة سورتي الأعلى والغاشية، أو الجمعة والمنافقون، ولكن لا ينبغي للخطيب المواظبة عليهما لئلا يهجر السور الأخرى، ولئلا تظنّه العامّة أنّ قراءتهما وواجبا من واجبات صلاة الجمعة، وليس الأمر كذلك (3).

وعن هشام بن عروة قال: قال لي أبي: " ما حدثت أحداً بشيء من العلم قط لم يبلغه عقله إلا كان ضلالاً عليه " (4).

(1) مجموع الفتاوى: 206 / 24.

(2) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد: 364 / 1.

(3) ينظر: الباب في شرح الكتاب في الفقه الحنفي، الشيخ عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي: 111 / 1.

(4) مقدمة صحيح مسلم، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع: 11 / 1.

وقال أبو قلابة: "لا تحدث بحديث من لا يعرفه، فإن من لا يعرفه يضره ولا ينفعه".⁽¹⁾

وقال ابن الجوزي: "من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا تحتمله قلوبهم، أو بما قد رسخ في نفوسهم ضده، فالمخاطب لهذا مخاطر بنفسه، فالله الله أن تحدث مخلوقاً من العوام بما لا تحتمله دون احتيال وتلطف، فإنه لا يزول ما في نفسه، ويخاطر المحدث له بنفسه.."⁽²⁾

مواقف من مجانية الحكمة في إحياء بعض السنن:
الموقف الأول:

قام أحد الخطباء بجمع خطبتي الجمعة بخطبة واحدة فقط، ثم نزل فصلي، فاختلف من حضر معه وكثر لغطهم وأنكروا عليه، فقال بعضهم: الصلاة باطلة، وقال آخرون: إنها ناقصة، والخطيب يرى أن الخطبتين غير واجبتين، وهو قول لبعض أهل العلم، وأنه إنما فعل ذلك للبيان وإزالة اللبس ونحوهما.

الموقف الثاني:

قام أحد الخطباء بإحياء سنة النبي ﷺ في الاستسقاء فخطب قبل الصلاة، فاشتد النكير عليه، وظهر الخلاف، وكثر اللغط بين المصلين.

فهذه المسألة تحتاج إلى الحكمة والتمهيد والبيان السابق للفعل؛ لأن المقصود هو التعليم والتبيين، وليس الخلاف والتناوش الذي لا يوصل إلى المراد.⁽³⁾

رابعاً: حذر الخطيب من إلزام الناس برأيه:

الخطابة مسؤولية عظمى لا يعلم حجم خطورتها إلا من يعلم أهميتها ودقة مسلكها، ففي منبر التوجيه والدعوة وإحياء السنن وقمع البدع وقول الحق.

وفي المقابل إذا هي أسوء استعمالها انقلبت إلى الضد، فقد تحيا من خلالها البدع، ويشيع الباطل، وتُمتأُ السنة، كما أنه قد ينتشر عبرها التضليل والتمويه، وما

(1) المصدر نفسه: 1 / 11.

(2) صيد الخاطر: 426.

(3) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 62 - 64.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

شابه ذلك؛ لذا كان لزاماً على الخطيب أن يستحضر هذا الأمر ويجعله نصب عينيه، وأن يعلم أنّ كلامه مؤثّر، وأنّ هناك أصنافاً تستمع إلى خطبته من بينهم العامّة الذين يأخذون كلام الخطيب أياً كان صواباً، أو خطأ، لاسيما خطباء المساجد الكبيرة المشهورة التي يرتادها كثير من الناس، ولها ولخطبائها شهرة واسعة النطاق، فعلى الخطيب أن يتقي الله فلا يخوض في نصوص الوحيين بغير حقّ، وألا يقول على الله ورسوله ﷺ ما لا يعلم.

وألا يكون طرحه للقضايا المهمّة مبنياً على وجهة نظر شخصيّة عريّة عن التنقيح، أو التحقيق، أو إصابة الصواب، أو القرب منه بعد الاجتهاد في تحصيله. وألا يكون منبع خطبته وما يقرّره فيها مصادر مغشوشة كحماس طائش، أو إعلام مضللّ، أو ضغوط نفسيّة متعدّدة الجوانب.

وألا يفتن الناس بأقواله المشتملة على القضايا الكاذبة والمقدّمات الفاسدة، ولينظر إلى أيّ شيء هو يقوم، وإلى أيّ هوة يقع بنفسه أو يوقع غيره، وإلى أيّ سنّة سيئة يسعى في إحيائها شعر بذلك أو لم يشعر، ليكون عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى قيام الساعة، وليكن في ذلك كَلِمَة مستحضرا وصيّة النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»⁽¹⁾.

ولقد روى أبو القاسم الأصمّهاني بسنده "أنّ عبدالله بن وهب قال ليويسف بن عمر: إنّ مالك بن أنس قال لي: "يا عبدالله، لا تحملنّ الناس على ظهرك، وما كنت لاعباً به من شيء فلا تلعبن بدينك"⁽²⁾.

ومعنى قوله رحمه الله: "لا تحملنّ الناس على ظهرك" كناية عن تحمّل آثار الناس وذنوبهم بما يسئله لهم من سنّة سيئة، فيكون هو سبب في إضلالهم؛ فإنّ في ذلك

(1) متفق عليه: صحيح البخاري: 8 / 11 ، برقم: 6018 ، وصحيح مسلم: 1 / 68 ، برقم: 47.

(2) الحجة في بيان المحجة: 1 / 207 ، وروى اللالكائي نحوه في شرح السنة: 1 / 144.

خطورة وحماً للأوزار غير يسير، لقول النبي ﷺ قال: «من سنَّ في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء»⁽¹⁾.

فلا يغترُّ الخطيب بفصاحة لسانه، وحسن بيانه، وشهرة منبره، وإعجابه برأيه، ما لم يكن مؤصلاً العلم واسع الروية طالباً للحق حريصاً عليه وسطاً منصفاً غيراً لا يستغفل، ذكر ابن عبد البر عن أحد السلف قوله: "من أعجب برأيه ضلَّ، ومن استغنى بعقله زل"⁽²⁾.

وعن علي بن عبدالله بن عباس أنه ذكر عنده بلاغة رجل، فقال: "إني لأكره أن يكون مقدار لسانه فاضلاً على مقدار علمه، كما أكره أن يكون مقدار علمه فاضلاً على مقدار عقله"⁽³⁾.

وقال أبو حاتم البستي رحمه الله: "والسقط ربما تعدى غيره فيهلكه في ورطة لا حيلة له في التخلص منها؛ لأنَّ اللسان لا يندمل جرحه، ولا يلتئم ما قطع به، وكلم القول إذا وصل إلى القلب لم ينزع إلا بعد مدَّة طويلة، ولم يستخرج إلا بعد حيلة شديدة، ومن الناس من لا يُكرهه إلا بلسانه ولا يُهان إلا به، فالواجب على العاقل ألا يكون ممَّن يُهان به"⁽⁴⁾.

خامساً: الأصل في الخطبة العدل:

إنَّ الأصل في الخطبة هو العدل وقول الحق ودلالة الناس على الصواب، فإن لم يستطع الخطيب ذلك لأسباب كثيرة يصعب حصرها؛ فإنَّ سكوته خير، وإنَّ عدم خوضه فيما لا يمكن العدل فيه أنفع له من التحدُّث بالخطأ، أو الحق الذي يعتربه باطل من جهة لا يشعر بها الخطيب، قال أبو حاتم البستي رحمه الله: "لأنَّه إذا قال ربما ندم، وإن لم يقل لم يندم، وهو على ردِّ ما لم يقل أقدر منه على ردِّ ما قال، والكلمة

(1) صحيح مسلم: 2 / 705 ، برقم 1017.

(2) جامع بيان العلم وفضله: 1 / 142.

(3) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء: 222.

(4) المصدر نفسه: 56.

إذا تكلم بها ملكته، وإن لم يتكلم بها ملكها، والعجب ممن يتكلم بالكلمة إن هي رفعت ربما ضرته، وإن لم ترفع لم تضره كيف لا يصمت".⁽¹⁾

ورحم الله من قال: العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في السكوت".⁽²⁾

فعلى الخطيب أن يتقى الله سبحانه، وأن يحسن اختيار الكلام في خطبته، ولاسيما في خطب النوازل، والأحداث العامة التي ينتظر فيها جمهور الناس ما يقوله الخطباء ويرددونه، فضلاً عن صعوبة بعض النوازل واشتباكها وعدم وضوح أبعاد معظمها، بل قد يكون بعضها من الفتن التي يكون الماشي فيها خيراً من الساعي، والقاعد خيراً من الماشي، والساكت خيراً من المتحدث، فعلى الخطيب أن يقول الحق إن استطاع وإلا فليصمت ولا يقول الباطل؛ لأن من تدخّل في مثل تلك النوازل الغامضة ربما كثر سقطه، ثم وقع في إهلاك غيره.⁽³⁾

المطلب الثالث: ضرورة التجديد في الخطابة:

أولاً: ضعف خطب المتأخرين:

لقد امتازت الخطب عند المتقدمين بالقوة والجزالة، وشدة التأثير، وأمّا خطب المتأخرين فالغالب عليها الضعف والتراجع، حتّى صار معظم الخطباء في جميع البلدان يتفوقون في الاستدلال على المواضيع المطروحة بالأحاديث المشهورة، فلا تكاد تميّز بين خطبة زيد وعمرو، ولا بين خطبة مغربي ومشرقي، وحضري وبدوي، ممّا جعل معظم الخطب مكرّرة، مأخوذ بعضها من بعض، فنجد الخطباء حينما يخطبون عن موضوع ما، مثلاً في بر الوالدين أو صلة الرحم؛ فإنهم يقفون عند أحاديث معينة يكثر طرحها وذكرها مع أنّ هناك أحاديث أخرى لا تقل عنها صحة ولا صراحة في الموضوع، غير أنّ كثيراً من الناس يجهلها ولا يعرفها، أو هي معلومة عند بعضهم، ولكن يغفل عنها كثيرون، والسبب في ذلك: هو اقتباس بعض الخطباء من غيره في الاستدلال، أو أن يكون المرجع في مثل ذلك كتاباً واحداً يعتمد عليه معظم الخطباء مثل كتاب رياض

(1) المصدر نفسه: 45.

(2) المصدر نفسه: 46.

(3) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 65 - 68.

الصالحين، وهو كتاب عظيم لكنه لم يستوعب الأحاديث كلها، قال الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله: " لو كان عشر هذه المنابر في أيدي جماعة من الجماعات العامة المنظمة، لصنعت بها العجائب، فما بالناس وهي في أيدينا لا نصنع بها شيئاً، كان للرسول ﷺ منبر واحد، دعا منه فلبت الدنيا، واستجاب العالم، وترك به على الأرض أعظم أثر عرفه تاريخ الأرض، وعندنا اليوم مائة ألف منبر مبنوثة ما بين آخر إندونيسيا وآخر المغرب، كلها مزخرف منقوش، استنفد جهد أهل العمارة، وعبقرية أهل الفن، وفيها المكبرات والإذاعات، تحمل الصوت منها إلى آفاق الأرض، فيسمع خطبائها الملايين، ولا نرى لها مع ذلك أثراً في إصلاح، ولا عملاً في نهضة ولو سألت من شئت من المصلين عن هذه الخطب لسمعت منه طرفاً من عيوبها"⁽¹⁾.

ثانياً: التجديد المأمول في الخطب:

ما نأمله ونسعى إليه هو التجديد في الاستشهاد بالأدلة؛ والبحث عن الأدلة الصحيحة غير المشتهرة بين الناس عامتهم وخاصتهم، فيختار الخطيب الأحاديث التي تخفى على الكثيرين بسبب قلة طرحها؛ فيضيف إليهم جديداً وهو معرفة الحديث والعمل به، وفي هذا خير كبير للأمة، وغاية ما يحتاج إليه الخطيب في هذا المجال هو التنقيب في بطون كتب الحديث، والخروج بمثل هذه الفوائد، وقد وجهت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية برئاسة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله بهذا الأمر، فقالوا: "الأحسن أن يجدد الخطيب الخطبة بقدر ما تيسر له ذلك؛ لما في ذلك من زيادة العلم والتشويق وقوة التأثير والبعد عن الملل والسآمة"⁽²⁾.

ومن أمثلة هذا التجديد، خطبة لفضيلة الشيخ سعود الشريم بالمسجد الحرام عن الأخوة والولاء والبراء في الدين، فأتى بما يدل على الموضوع بدليل بعيد المرمى دون غيره من الأحاديث المشتهرة على ألسنة الناس، فذكر بحديث النبي ﷺ في أمره بقتل الوزغ، في حديث أم شريك ﷺ؛ لأنه كان ينفخ النار على أبينا إبراهيم عليه الصلاة

(1) الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 80.

(2) فتاوى اللجنة: 8 / 238.

والسلام⁽¹⁾، وأخذ منه أن من كان عدواً للدين، فهو عدو لنا ولو كانت حشرات صغيرة كالأوزاغ ... الخ، يقول حفظه الله: وبعد الخطبة وجدت استحسان بعض الناس من جهتين:

الأولى: العلم بأن الوزغ كان ينفخ النار على إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وكانوا لا يعلمون هذا الأمر.

الثانية: إن كل من عادى الدين بأي نوع من أنواع العداوة فهو عدو لنا حتى ولو كان مثل الوزغ؛ ولذلك أمرنا النبي ﷺ بقتله، والله تعالى أعلم.⁽²⁾
حال الخطب حال الخطب في زمننا:

لما ضعفت الخطابة في عصرنا، ولم تنل حَقَّها من الدراسة والتأصيل، وإعداد الخطباء، وصار كلُّ خطيب هو معلم نفسه، إمَّا بمحاولة منه واجتهاد، وإمَّا بتقليد من رآهم، وسمِعهم من الخطباء والذين هم أيضا لم يأخذوا الخطابة إلا بالتجربة والتقليد، فصارت الخطب عبارة عن رسوم وممارسات، وعبارات متكلِّفة ومتكرِّرة، وتجارب تتعد عن الجادة، والسنة، وهذا الحال منذ عصور، فصار همُّ الخطيب تسقيط واجب، وغايته عبارة متكلِّفة، وكلام غريب يثير الدهشة، وتجده يدور على الموضوع ولا يدخله، وإذا دخل الموضوع لم يستطع الخروج منه، حتى يتمنى المستمعون لو أنه لم يدخله، وإذا ما حاول علاج أمر يكثر الحرُّ ولا يصيب المفصل، وذلك كلُّه راجع إلى ضعف إعداده، وعدم معرفته بماهيَّة الخطبة وحدِّها، وجهله بأجزائها ومكوناتها، وإنَّما هو مقلِّد لمن سمِعهم ممَّن يمارسون الخطابة، وليسوا بخطباء، ومن يُظنُّ أنَّهم خطباء، ومكرِّر لما قالوا، من غير فقه لما يرِدُّ، ولا معرفة بدليل..

ثالثا: خطب النبي ﷺ والسلف والخطب من بعدهم:

كلنا يعتقد بأن النبي ﷺ هو القدوة للأمة جميعا، ولنا فيه أسوة حسنة، وكلنا يعتقد أن هدي النبي ﷺ هو خير الهدي، وأحسنه وأكمله وأعلاه وأطيبه، وهذا عامٌّ في الهدي كله، ومنه الخطابة، ، وأنَّ خير الناس قرنه ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم،

(1) متفق عليه: صحيح البخاري: الأنبياء: 3359 ، وصحيح مسلم: 4/ 1757 ، برقم 2237.

(2) ينظر: الشامل في فقه الخطيب والخطبة: 56 - 57.

ولكنَّ كثيراً ممَّا يخالف ذلك في القول والعمل، فلم يعد تمسُّكنا بالسنة وطريق السلف كما ينبغي، ولم تعد الخطابة عندنا كالخطابة عندهم، وقد وصف خطب النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم الإمام ابن القيم، وحال الخطب من بعده، وصفاً بديعاً، فقال رحمه الله: " كانت خطبه ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان: من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعدَّ الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق، وهي: النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة، غير أنهم يموتون، وتقسم أموالهم، ويبلي التراب أجسامهم، فيا ليت شعري أيَّ إيمان حصل بهذا؟ وأيَّ توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به، ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب ﷻ، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تحبِّبه إلى خلقه، وأيامه التي تخوِّفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحبِّبهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحبِّبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبُّوه وأحبِّبهم، ثمَّ طال العهد، وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها، وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلال بها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع فنقص بل عدم حظُّ القلوب منها وفات المقصود بها".⁽¹⁾

وإنَّما الواجب على كلِّ مسلم هو إتباع هدي نبيه عليه الصلاة والسلام، ففيه الخير كلُّ الخير، وفي البعد عن هديه وفي ترك سنته، وسلوك غير سبيله، الشرُّ كلُّ الشرِّ، وخاصَّة في الخطابة؛ فإنَّها من أعظم الأمانات، والخطيب مؤتمن على دين

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد: 1 / 410.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

الناس، ويكفيه حرصاً على الأمانة أنه يقف موقف النبي صلى الله عليه وسلم، وموقف خلفائه الراشدين المهديين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.
وأملنا أن ينتبه لهذا الأمر إخواننا وأحبابنا أهل الشأن من المسؤولين والمدربين، والخطباء، وطلبة العلم، والدعاة، ويعطوه حقَّه، ويحرصوا على تدريس الخطابة، وتنشئة الخطباء، وتعليم أحكامها في السنَّة، وما كانت عليه عند السلف رضي الله عنهم وأرضاهم.

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، والحمد لله ظاهراً وباطناً، وله الحمد كلُّه، نحمدك اللهم ربنا، {سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} ⁽¹⁾، أحمد الله على

(1) البقرة: 32.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

تيسيره وعونه وتوفيقه؛ فلولاه ما كتبت، ولا أتممت هذه الرسالة، فما كان فيها من خير وإحسان فهو بتوفيق الله وفضله ومَنِّه وكرمه فله الحمد على ذلك حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، وما كان خطأ أو سهو أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله عليه الصلاة والسلام منه بريئان، واعلم أخي القارئ الكريم رحمك الله: أني لا أدعي لنفسي الكمال، والبراءة من كلِّ نقص وخطأ، معاذ الله، فبنو آدم مجبولون على الخطء، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»⁽¹⁾، فما كان من خطأ فإني أستغفر الله منه وأتوب إليه، والذي يهمني هو الصلاح لنفسي ولأمّتي والإصلاح، وأن نتجاوز الأخطاء والعثرات، ونقدّم الأفضل لأنفسنا ولأمّتنا..

وهذه جملة من النتائج والوصايا أقدمها بين يدي القارئ الكريم، وأختم بها هذه الرسالة:

أولا النتائج:

- ضرورة الاعتناء بالخطابة، والارتقاء بها؛ لما لها من أهميّة كبيرة في توعية الناس ودعوتهم، ونشر العلم الصحيح، والتوجيه السديد بينهم.
- التعليم المستمر للخطيب، فلا يكتفي من العلم، بل هو في حاجة مستمرة إلى العلم، والتفتيش في بطون الكتب، والبحث العلمي، ومعرفة الواقع معرفة جيّدة.
- شعور الخطيب بالمسؤوليّة الشرعيّة في الخطابة، وأتمها أمانة ينبغي أن تحفظ، ورسالة ينبغي أن تؤدّى على ما يرضي الله تعالى.
- الابتعاد بالخطبة عن الرتابة والتكرار، والسمة الوظيفيّة، وبعث روح الابداع والتجديد فيها.
- ضرورة التمييز بين أنواع الخطب، وعدم الخلط بين هذه الأنواع في الإلقاء، واختيار المواضيع.

(1) حديث حسن - سنن الترمذي: 4 / 659 ، برقم: 2499 ، وسنن ابن ماجه: 2 / 1420 ، برقم: 4251. وحسنه الألباني.

□ الجِدِّيَّة في طرح الموضوعات، وعلاجها، وعدم السعي بعيدا في الخيال، والأمل المفرط.

ثانيا: التوصيات:

□ إعادة تأهيل كثير من الخطباء، وإقامة الدورات التطويرية لهم.

□ إقامة الدورات، والدروس في تنشئة خطباء جدد على أسس علمية، وتمارينهم على الخطابة، وتأهيلهم لذلك، وإدخالهم في مسلك الخطابة.

□ إعادة تأهيل كثير من الخطباء، وإقامة الدورات التطويرية لهم؛ لأنَّ الغالبية من الخطباء هم خطباء رسوم، لا يفقهون من روح الخطابة شيئا.

□ الدعوة إلى إقرار مادَّة الخطابة في الثانويات الإسلامية، والمعاهد العلمية، وكليات الشريعة، والجامعات الإسلامية، حتَّى نتخلص من هذا الحال القائم الآن، وهو تخرُّج الطالب وهو لا يجيد الخطابة، ولا يستطيعها، ولا عنده شيء من فقهها.

□ الحرص على تحقيق اتباع هدي النبي ﷺ في خطبه، وتحقيق ما كانت عليه من علم وهدى.

□ التزام طريقة السلف الصالح رضي الله عنهم وأرضاهم في الخطابة، واجتناب كلِّ ما خالف طريقهم؛ لأنَّه بالضرورة مخالف لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

□ مراعاة حال المستمعين، وعدم الابتعاد عنهم، وعن واقعهم، وما يحتاجونه من علم وتذكير.

وفي الختام أسأل الله العليَّ القدير أن يوفِّقنا جميعا لما يحبُّ ويرضى، وأن يستعملنا ولا يستبدلنا، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يتولانا ويبرئ لنا من أمرنا رشدا، وأن يصلح مساجدنا وخطباءنا، وخطبنا، وأحوالنا وأحوال المسلمين جميعا، ويردِّنا جميعا إليه ردا جميلا، وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأن يصلح لنا آخرتنا التي إلها معادنا، وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا إلى النار مصيرنا، وتوفنا وأنت راضي عنا غير غضبان، يا أرحم الراحمين يا ذا الفضل العظيم، يا ذا الجلال والإكرام، يا حيُّ يا قيُّوم.. هذا والله تعالى أعلى وأعلم وصلى الله

فن الخطابة وإعداد الخطيب

وسلم وبارك على سيدنا وحبیبنا وقرّة عیوننا نبینا محمد وعلى آله وصحبه والتابعین
وتابعیهم ومن تبعهم إحسان وتمسك بالسنة إلى یوم الدین، والحمد لله رب العالمین، تمّ
بحمد الله الذی بنعمته تتمّ الصالحات
سبحانک اللهم وبحمدک أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرک وأتوب إليك
والسلام علیکم ورحمة الله وبرکاته.

المصادر والمراجع

- 1- القرآن الکریم.
- 2- الإنقان والإحکام فی شرح تحفة الحکام - المعروف بشرح میارة، أبو عبد الله،
محمد بن أحمد بن محمد الفاسی، میارة (المتوفی: 1072هـ)، دار المعرفة.

- 3- الآداب الشرعية والمنح المرعية، عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الشهير بابن مفلح الحنبلي (المتوفى: 763هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعمر القيام، مؤسسة الرسالة، البلد: بيروت، الطبعة: الثالثة، عام: 1419هـ - 1999م.
- 4- الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى للطبعة الجديدة، عام: 1420هـ - 2000م.
- 5- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار المعرفة - بيروت.
- 6- الاستقامة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، عام: 1403هـ.
- 7- الأمالي، أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيدون (ت: 356هـ)، عني بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، عام: 1344هـ - 1926م.
- 8- البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: 970هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد 1138هـ)، وبالْحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية، د.ت.
- 9- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، عام: 1408هـ - 1988م.
- 10- البدع والنهي عنها، أبو عبد الله محمد بن وضاح بن بزيق المرواني القرطبي (المتوفى: 286هـ)، تحقيق ودراسة: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، مكتبة العلم، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، عام: 1416هـ.

- 11- بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: 280هـ)،
صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة،
عام: 1326 هـ - 1908 م.
- 12- البيان في مذهب الإمام الشافعي، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم
العمراني اليماني الشافعي (المتوفى: 558هـ)، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار
المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، عام: 1421 هـ - 2000 م.
- 13- البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان،
الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام: 1423 هـ.
- 14- تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن
يزيد بن كثير بن غالب الأملّي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، (صلة تاريخ
الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ)، دار التراث - بيروت،
الطبعة: الثانية، عام: 1387 هـ.
- 15- تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل ابن كثير
(ت: 774هـ) تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات
محمد علي بيضون، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: 1419 هـ.
- 16- تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر
بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : 671هـ)، تحقيق:
أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة:
الثانية، عام: 1384 هـ - 1964 م.
- 17- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن
عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن
الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، عام: 1414 هـ - 1994 م.
- 18- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد
بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان،
مكتبة المعارف - الرياض.

- 19- الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزبيديّ اليميني الحنفي (المتوفى: 800هـ)، المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، عام: 1322 هـ.
- 20- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535هـ)، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية، الرياض - السعودية، الطبعة: الثانية، 1419هـ - 1999م.
- 21- الخطابة - أصولها تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، الإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، عام: 1980 م.
- 22- خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه، محمد ناصر الدين الألباني، طبع المكتب الإسلامي.
- 23- دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (المتوفى: ق 12هـ)، عرّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، عام: 1421هـ - 2000 م.
- 24- دلائل النبوة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: د. عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة: الأولى، عام: 1408 هـ - 1988 م.
- 25- ديوان كُثْبَرِ عَزَّة، جمعه وشرحه الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، عام: 1391 هـ - 1971 م.
- 26- ديوان لبيد بن ربيعة شرح الطوسي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه الدكتور حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، عام: 1414 هـ - 1993 م.
- 27- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت.

فن الخطابة وإعداد الخطيب

28- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، عام: 1415 هـ - 1994 م.

29- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، بو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420 هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).

30- السنة، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المُرُوزِي (المتوفى: 294هـ)، تحقيق: سالم أحمد السلفي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: 1408 هـ.

31- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَؤرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (ج 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (ج 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (ج 4، 5)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.

32- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي . بيروت، في التعليق حكم الألباني.

33- سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني (ت: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.

34- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: 213هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، عام: 1375 هـ - 1955 م.

35- الشامل في فقه الخطيب والخطبة، د. سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم، إمام وخطيب المسجد الحرام، مصدر الكتاب: <http://www.saaaid.net>

- 36- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: 418هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة - السعودية، الطبعة: الثامنة، 1423هـ - 2003م.
- 37- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، عام: 1422 - 1428هـ.
- 38- شرح النووي على صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، عام: 1392هـ.
- 39- شعب الإيمان، للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي - الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423هـ - 2003م.
- 40- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، عام: 1987م.
- 41- صحيح البخاري - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- 42- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان (ت: 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي الفارسي (ت: 739هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، عام: 1408هـ - 1988م.
- 43- صحيح مسلم - المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

44- صلاة العيدين في المصلى هي السنة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة: الثالثة، عام: 1406هـ - 1986م.

45- صناعة طالب علم ماهر، أحمد بن ناصر الطيار، الطبعة الأولى، عام: 1440 هـ - 2019م.

46- الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، عام: 1419 هـ.

47- صيد خاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597 هـ)، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم - دمشق، الطبعة: الأولى، عام: 1425 هـ - 2004م.

48- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد وهي كلمة حق وصرخة في واد إن ذهبت اليوم مع الريح لقد تذهب غداً بالأوتاد، عبدالرحمن الكواكبي، مصدر الكتاب:

<http://www.fineprint.com>

49- العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: 328هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، عام: 1404 هـ.

50- قصص الأنبياء، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف - القاهرة، الطبعة: الأولى، عام: 1388 هـ - 1968م.

51- الفتاوى الكبرى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، عام: 1408هـ - 1987م.

52- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - المجموعة الأولى، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض.

53- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (المتوفى: 851 هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة - بيروت، عام: 1379 هـ.

54- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: 1285 هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة: السابعة، عام: 1377 هـ - 1957 م.

55- فصول إسلامية، على الطنطاوي، دار الدعوة بدمشق، الطبعة الأولى، عام: 1380 هـ - 1960 م.

56- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: 285 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة، عام: 1417 هـ - 1997 م.

57- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريبي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094 هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت.

58- اللباب في شرح الكتاب في الفقه الحنفي، الشيخ عبد الغني الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي (المتوفى: 1298 هـ)، حققه، وفصله، وضبطه، وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية، بيروت - لبنان

59- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711 هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، عام: 1414 هـ.

60- مائة سؤال عن الإسلام، الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، نسخة المكتبة الشاملة.

61- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب

- (المتوفى: 637هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - بيروت.
- 62- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: 807هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، عام: 1414 هـ - 1994 م.
- 63- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728 هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام: 1416 هـ - 1995 م.
- 64- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، عام: 1421 هـ - 2001 م.
- 65- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: 211هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، 1403 هـ.
- 66- معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: 388هـ)، المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى، عام: 1351 هـ - 1932 م.
- 67- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.
- 68- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبه - كامل المهندس، مكتبة بيروت - لبنان، ط2، عام: 1984 م.

69- المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: 620 هـ)، مكتبة القاهرة، د. ط.

70- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751 هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت.

71- منبر الجمعة أمانة ومسؤولية، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، عام: 1419 هـ.

72- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت.

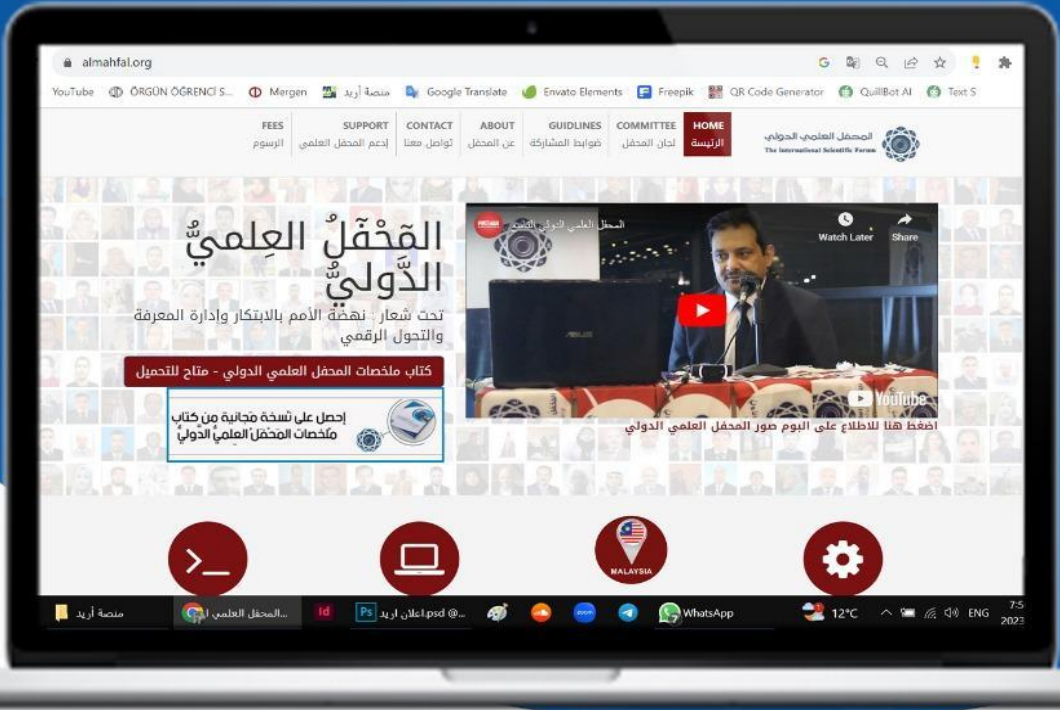
73- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (المتوفى: 1041 هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت - لبنان.

74- نفح الطيب في الخطابة والخطيب، معروف الرصافي، مطبعة الأوقاف الإسلامية بدار الخلافة العلية، الطبعة الأولى، عام: 1336 هـ - 1917 م.

75- نواهد الأبيكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911 هـ)، الناشر: جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (3 رسائل دكتوراه)، عام: 1424 هـ - 2005 م.



المحفل العلمي الدولي



يُعد "المحفل العلمي الدولي" وعاءً علميًّا خاصًّا بأعضاء منصة أريد، يستوعب ما يمكنهم القيام به من أنشطة وفعاليات علمية، وثقافية، وفكرية، وتواصلية، تُحقِّق الفائدة للمنصة وأعضائها في ضوء ما أقره أعضاء اللجنة التحضيرية لهذا المحفل من قيم، ورسالة، ورؤية.

منصة أريد العلمية

ARID Scientific Platform



منصة أريد هي منظمة غير ربحية تتيح التسجيل المجاني لتحقيق أهداف علمية متعددة الأوجه. تم تأسيسها من قبل باحثين وخبراء مهتمين بتطوير البحث العلمي.

مقرات المنصة: بريطانيا - ماليزيا - العراق - تركيا (13467806) ARID SCIENTIFIC LTD
All rights reserved - Address: 128 City Road, London, EC1V 2NX

● WWW.ARID.MY للتسجيل مجاناً في المنصة



Arid



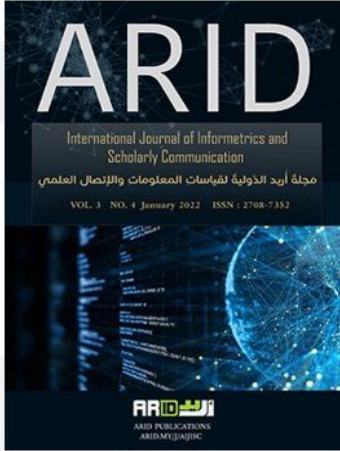
Arid

مجلات أريد الدولية

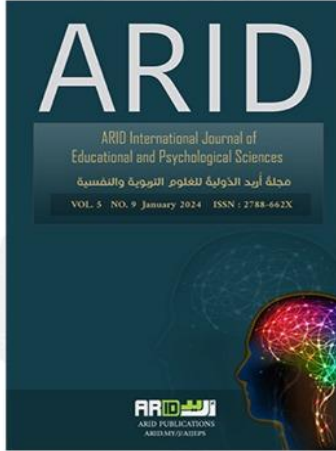
مجلات علمية تهدف الى الرقي بالمستوى العلمي
للناطقين باللغة العربية

WWW.ARID.MY

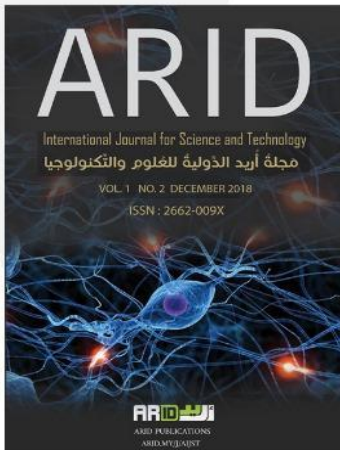
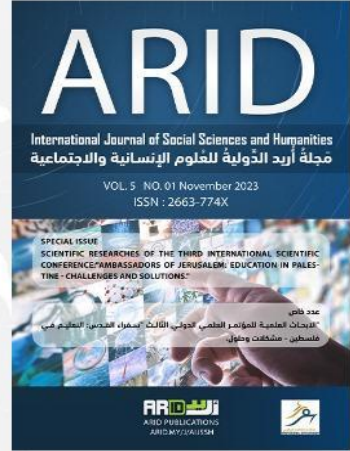
مجلة أريد الدولية لقياسات
المعلومات والاتصال العلمي



مجلة أريد الدولية للعلوم
التربوية والنفسية



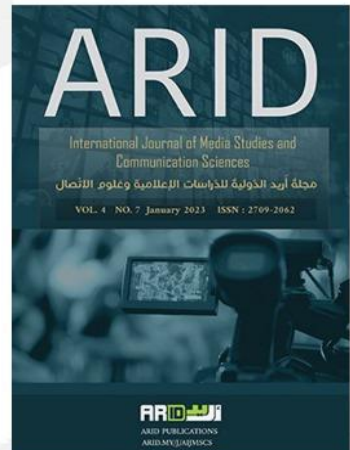
مجلة أريد الدولية للعلوم
الإنسانية والاجتماعية



مجلة أريد الدولية للدراسات
الإعلامية وعلوم الإتصال

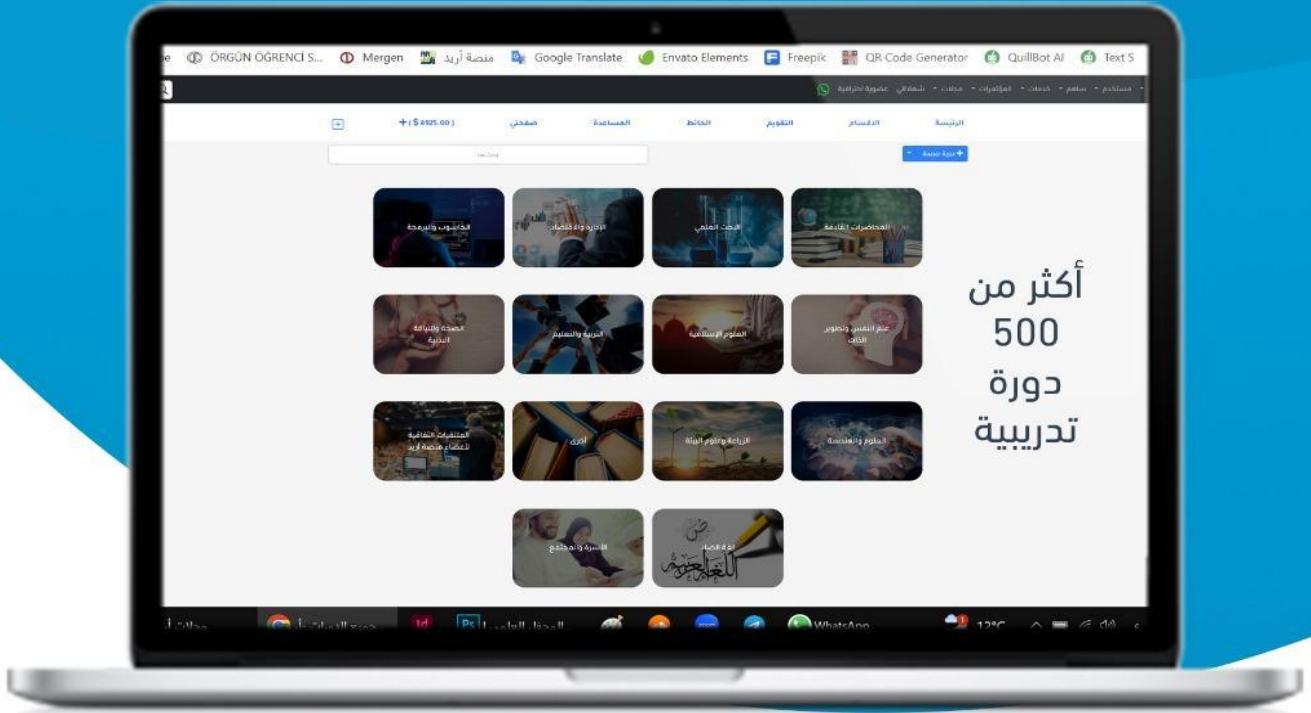


مجلة أريد الدولية للعلوم
والتكنولوجيا



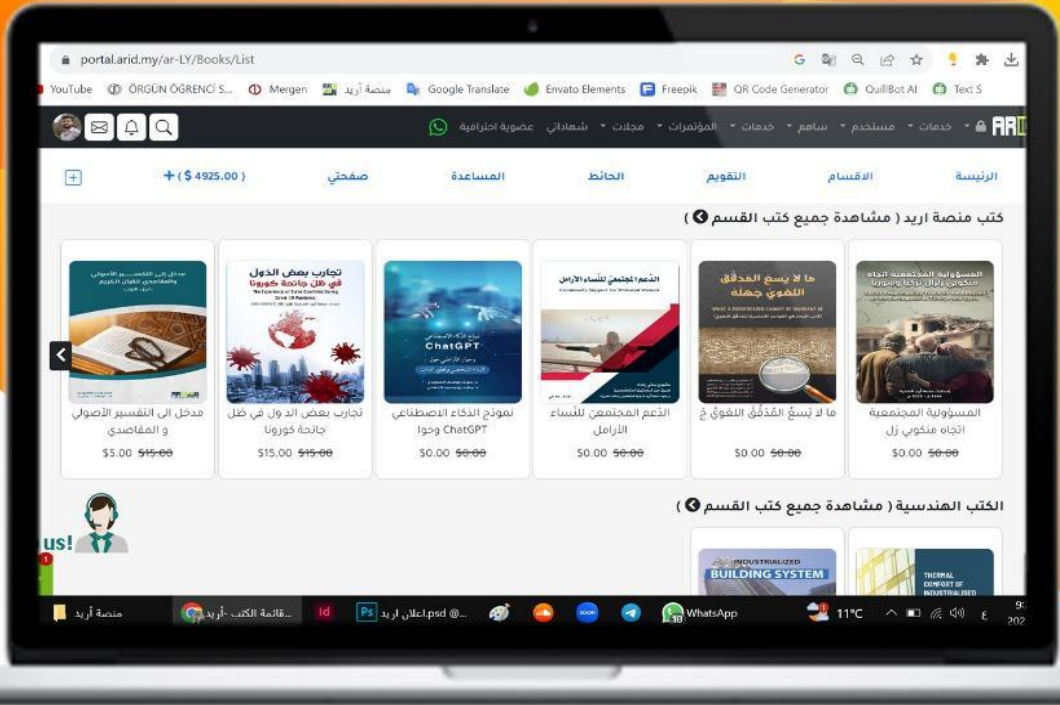
نظام عليم للتعليم الالكتروني في منصة أربد العلمية

أكثر من 500 دورة تدريبية ومحاضرة علمية



المكتبة الرقمية في منصة أريد

مكان واحد لجميع إصدارات أريد العلمية



الموقع الرسمي للمكتبة الرقمية

portal.arid.my/ar-LY/Books/List



أريد
Arabic Researcher ID

WWW.ARID.MY

أوسمة منصة أريد العالمية

سجل في منصة أريد العلمية واحصل على الأوسمة العلمية مع الشواهد وكتب التأييد

فن الخطابة وإعداد الخطيب

عماد بن خليفة بن سليمان الدايني البعقوبي

يتناول الكتاب موضوع فن الخطابة وأهميته في الإسلام والمجتمع، وتبين أسباب ضعف الخطباء والخطب في العالم الإسلامي، وتربط ذلك بالتهميش المتعمد أو الغير مقصود لمادة الخطابة في التعليم الشرعي والعملي. كما تقدم توجيهات ونصائح للخطيب ليتحلى بالزاد الروحي والثقافي، ويتجنب الحشو والتكرار والتطويل والاختصار. ويستشهد بمصادر علمية وأدبية مهمة في هذا المجال.

أريد
إصدارات منصة أريد العلمية
ARID SCIENTIFIC PUBLICATIONS

